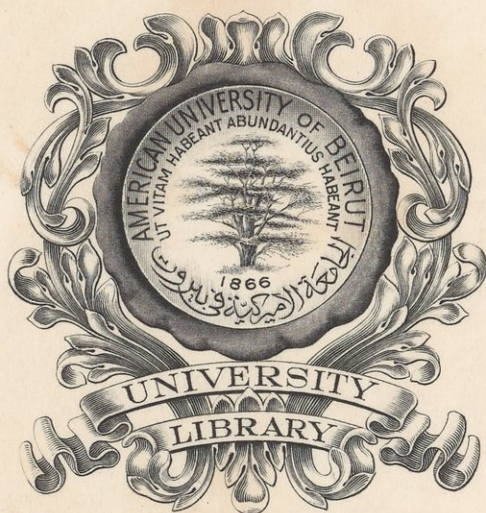


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجديد مآلح الدقو

٢٢٢٩٧٧

أبي جبيب
جباري هدية محبة ووداد

محمد العزنافي

م
ل

فجر الغروب

المجلد الثاني من

العزنايات

حقوق إعادة الطبع محفوظة للشاعر

منشورات المكتبة العصرية - بيروت

الاحتراس

الى التي شارك قلبها الكبير قلبي في الاعجاب بزعيم
العروبة ، وقائدها المحمص الرئيس جمال عبد الناصر الذي
ورد اسمه في معظم قصائد هذا الديوان ، والذي جنّحت
بطولته خيالي فتصيّدُ جلّ معاني هذا الجزء من «العدنانيات» .

والى التي جرى حبّ العروبة في نفسها كما جرى الدم
في العروق ، والاحساس في الأعصاب ، الى فلذة كبدي
ابنتي الحبيبة الشاعرة

هالة

أهدي هذا الديوان

حلب : نيسان ١٩٦٠

ليست القناة

هذه أبيات قيلت في مؤمم قناة السويس ، ومقلم برائن البريطانيين
الناشبة في جسم الأمة العربية ، وناظم عقد العرب الرئيس المفدى
جمال عبد الناصر ، بعد أن صمد في وجه التحدي الغربي الاستعماري
صمود الأبطال :

تَرَفَّعَ عَنْ مَذْحِ الْمُلُوكِ قصيدي

وَأَوْطَنَ جُوزَاءَ الْبَيَانِ نشيدي (١)

وَصَعَّرْتُ خَدَّ الشَّعْرِ كِبَرًا ، فلم يَجِدْ

سِوَى سِدْرَةِ الْإِلْهَامِ عَرْشَ خُلُودِ (٢)

رَبَّاتُ بِهِ عَنْ كُلِّ أَرْوَغٍ مَا جَدِ

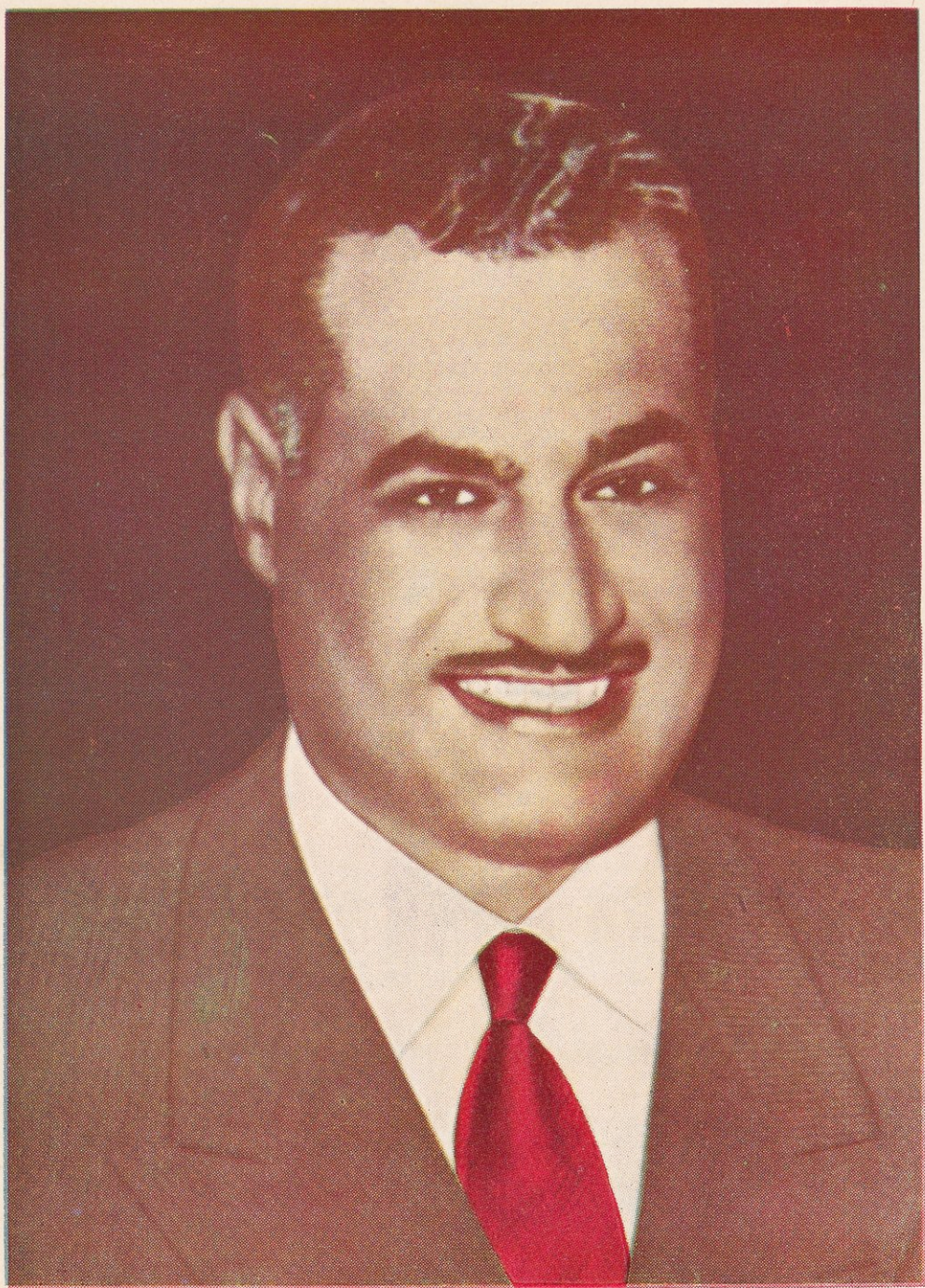
يَسِيرُ عَلَى هَامِ الْأَبَاةِ الصِّيدِ

وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى عَبْدَ نَاصِرٍ

يَقُلُّ حَدِيدَ الْمُعْتَدِي بِحَدِيدِ

(١) الجوزاء : برج في السماء .

(٢) إشارة الى سدرة المنتهى ، وهي شجرة على يمين عرشه سبحانه وتعالى



سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

وَيَرْقَعُ شَأْنَ الْعُرْبِ فِي كُلِّ وَهْدَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ مِقْدَامًا ، وَكُلِّ صَعِيدٍ (١)

وَيَجْمَعُ شَمْلَ الْقَوْمِ بَعْدَ تَشْتَّتِ

وَيُنْهَضُهُمْ مِنْ كِبَوَةٍ وَجُودِ

وَيَنْفُخُ فِيهِمْ رُوحَهُ عَرَبِيَّةَ

تَوْجِجٍ عَزْمًا كَانَ إِلْفَ نُخُودِ

وَيُشْعِرُهُمْ أَنَّ الزَّمَانَ مُحَالِفُ

لِكُلِّ فِتْيَ ، صُلْبِ الْقَنَاقَةِ ، عَنِيدِ

وَأَنَّ جَنَاحَ الْغَرْبِ قَدْ هَيْضَ عِنْدَمَا

رَأَى نَسْرَنَا أَمْسَى بِغَيْرِ قِيُودِ

يُحَلِّقُ فِي أَجْوَائِهِ ، وَالشَّهَاءَ لَهُ

أَرِيكَهُ بَجْدِ طَارِفِ ، وَتَلِيدِ

فَلَمَّا رَأَى شِعْرِي جَمَالًا ، وَطَرَدَهُ

لِفَارُوقٍ مِنْ جُحْرِ اللَّيَالِي السُّودِ

وَإِجْلَاءَهُ جُنْدَ الْبَرِيطَانِ بَعْدَمَا

غَدَا جَوْزُهُمْ فِي مِصْرَ دُونَ حُدُودِ

(١) الصعيد : المرتفع من الارض .

ووثبته فوق القناة ، وعزمه

على شئها حرباً بدون رُكود
وجعل بُنود العرب تحقّق في الذرى

أو الموت في الهيجاء موت شهيد
عصاني نظيمي ، وانتحي أنجم العلى

وعاد بها منظومة بعقود
وحلّى بها لثّ القناة ، فزانها

بإشراق وجه كالصباح ، وجيد
وحسب جمال أنه بقلوبنا

تطوّق ، من دون الورى ، وكبود
بروحي أفديه ، وقلبي ، والمنى ،

ونثري ، وما أثلته بقصيدي
رأيت صلاح الدين فيه ، فليتني

أعيش فألني الجند تلو جنود
يسيرُ بهم نسر الكنانة ظافراً

لردّ فلسطين ، وتحقّ يهود
لأزل رمسي بعد ذلك هائلاً

بتربة آبائي ، وأرض جدودي
٦ - حلب : ١٥ آب سنة ١٩٥٦

طَبْلُ الْغَرَبِ

قيات عند هجوم إنكارترا وفرنسا على الشقينة مصر التي أمم متقدها
الرئيس جمال عبد الناصر القناة دون خوف من تهديدهم ووعيدهم :

زَارَ الْحَقُّ فِي عَرِينِ بِلَادِي
فَشَى الْهَوْلُ فِي رُبُوعِ الْأَعَادِي

نَزَلَ الصَّدْرُ ، وَانْتَحَى الْقَلْبُ حَتَّى
طَفَحَ الرَّعْبُ فِي كُؤُوسِ الْفَوَادِ

أَلِفَ الْغَرَبُ حِقْبَةً أَنْ يَرَانَا
— وَهُوَ يَعْوِي — فَرَائِصًا فِي ارْتِعَادِ

رُبَّ طَبْلٍ دَرْدَابُهُ أَزْعَجَ الْغِيلَ ،
وَأَوْدَى بِرَاحَةِ الْأَجْسَادِ (١)

لَفَظَ الرُّوحَ حِينَ شَقَّتْ حَشَاهُ
لَمَسَةً مِنْ بَرَاثِنِ الْأَسَادِ

(١) الدرداب : صوت الطبل . الغيل : موضع الاسد .

فَإِذَا ذَلِكَ الدَّوِيُّ هَبَاءُ
 وَإِذَا جَمْرُ غَيْظِهِ مِنْ رَمَادٍ
 وَبَدَتْ لِي إِنْكِارًا وَفَرَنَسًا
 كَالْفَقَائِعِ فِي خِصَمٍ بِلَادِي
 مَزَقَتْهَا انْتِفَاضَةً مِنْ جَمَالٍ
 جَعَلَتْهَا أُسْطُورَةً الْإِزْبَادِ
 لَمْ تَكْذُ مِصْرُ بِالْحَدِيدِ تَحْدَى
 مَنْ لَدَى الدَّوْلَتَيْنِ مِنْ أَجْنَادِ
 وَتُحِيطُ الْقَنَاقَةُ بِالنَّارِ حَتَّى
 كَفَّتَا رَهْبَةً عَنِ الْإِرْعَادِ
 لَا يَشُنُّ الْكَابُوسُ حَرْبًا إِذَا مَا
 نَفَضَ الْجَنُّ عَنْهُ عِبَاءَ الرُّقَادِ

حلب : ٨ - ١٠ - ١٩٥٦

الجمهورية العربية المتحدة

لما سمعت زعيم العروبة الرئيس جمال عبد الناصر يعلن من اذاعة
القاهرة مولد الجمهورية العربية المتحدة مؤلفة من مصر وسورية ،
ترقرقت العبرات في عيني فرحاً ، وقلت :

لَمَّا سَمِعْتُ جَمَالاً يُنْبِئُ الْعَرَبَا
بِوَحْدَةٍ ، فَاضَ دَمْعُ الْقَلْبِ وَانْسَكَبَا
فَقَدْ رَأَى الْأَمَلَ الْمُنْشُودَ بَازِغَةً
شُمُوسُهُ ، تَبْهَرُ الْآفَاقَ وَالْحَقْبَا
فَجُنَّ فِي الصَّدْرِ مَخْمُوراً بِغَبِطَتِهِ
وَرَا حَ يَرْقُصُ فِي أَرْجَائِهِ طَرَبَا
وَلَوْ أُتِيحَ مِنَ الْأَضْلَاعِ مُنْطَلَقُ
لَهُ لَيْمَمَ مِصْرًا يَمْتَطِي السُّحْبَا
وَحَطَّ ، مُلْتَهَباً شَوْقاً ، عَلَى شَفَتِي
فَذِي لَأُمَّتِهِ خَفَاقَةً وَهَبَا

وراح يلثمُ شكري وهو في ظمأ
 إلى معينٍ من الإخلاص قد عذباً (١)
 لم يُغره منصبٌ يغنو الزمانُ له
 وآثر اليومَ أن يفدي به العربا
 فحلَّ من شعبه عرشاً دعائمه
 قلبٌ مجبٍ أبي حسّاننا وجبا
 لئن سلختُ حياتي في مُقارعةٍ
 للغرب يُرهبني بالظلم مُتدباً
 كم زرتُ سجناً ببيروتٍ، وروّعي
 سجنٌ ببغدادَ شنّ الويلَ، والحربا
 وفي فلسطينَ تنكيلٌ، ومُعقلٌ
 بلوتُ فيه الضنّى، والبطشُ، والكربا
 وذقتُ في النفي، والتشريدِ مضطهداً
 غيري بمثلها ما خلّته نكبا

(١) هو الرئيس شكري القوتلي آخر رئيس للجمهورية السورية ،
 وقد ضحى بمنصبه من أجل وحدة العرب .

فإنني حين شكري النَّدْبُ طالعي
بعُودِهِ في فَمِ الأَهْوَالِ قد صَلَبَا
وَرُوحِهِ وَهُوَ في الهِجَاءِ يَبْذُلُهَا
لِقَوْمِهِ ، وَيَعَافُ الأَهْلَ والنَّشَبَا
بَدَوْتُ في عَيْنِ نَفْسِي في الدُّنَى قَزَمًا
أَمَامَ مَجْدِ لشكري بالدِّمَا كُتِبَا
رَعَى العُرُوبَةَ في سِرِّ ، وفي عَلَنٍ
وَكَانَ أَمَّا لَهَا ، مُذْ أَيْفَعَتْ ، وَأَبَا
مَنْ بَاعَ للشَّعْبِ في اللَّأْوَاءِ مُهْجَتَهُ
بِمَا يُكِنُّونَ مِنْ حُبِّ ، فَقَدْ كَسَبَا
إِنَّ الوَفَاءَ ضِيَاءُ الرُّوحِ مُشْرِقَةً
عَلَى الأَنَامِ يُزِيلُ الهَمَّ ، والنَّصْبَا
فَمُ الزَّمَانِ إِذَا مَا أَسَاءَهُ مَثَلًا
بَغِيرِ قَوْمِي في التَّارِيخِ مَا ضَرَبَا

* * *

أَمَّا جَمَالُ قَلْبِي مَا هَفَا أَبَدًا
إِلَى زَعِيمٍ سِوَاهُ يَكْشِفُ النُّوبَا

مَا عَظَرَ الْكَوْنَ ذَكَرُ لَأَسْمِهِ أَبَدًا
 إِلَّا إِلَيْهِ ابْنُ جَنِّي فِي الضَّلُوعِ صَبَا
 مَا جَاءَ بَعْدَ صِلَاحِ الدِّينِ مِنْ بَطَلٍ
 سَوَى جِهَالٍ ، لَجَمْعِ الشَّمْلِ قَدْ نُدِبَا
 عَزِيمَةً ، كَقَضَاءِ اللَّهِ ، مَا ضِيَّةُ
 وَسِيرَةٍ ، فِي سِوَاهَا الْمَجْدُ مَا رَغِبَا
 لَوْ كَانَتْ ثَمَّةٌ لِلْعَلْيَاءِ مِنْ سَبَبٍ
 لَكُنْتَ وَحْدَكَ ، عَبْدَ النَّاصِرِ ، السَّبَبَا
 أَوْ حَاوَلْتَ مَلَكَاتُ الْحُسْنِ قَاطِبَةً
 أَنْ يَحْتَذِينَ فَوَادِي لَحْظَةٍ ، لِأَبَى
 جَفَا الضَّلُوعِ ، وَوَافِي مِصْرَ يُلَاقِيهِ
 شَوْقُ إِلَيْكَ ، وَنَحْوِ الرَّاحَتَيْنِ حَبَا
 أَمْسَى أَسِيرَكَ فِي مِصْرٍ ، وَصَاحِبُهُ
 مَا زَالَ يَصَلِّي بِنَارِ الْوَجْدِ فِي حَلْبَا
 سَلَهُ يُجِيبُكَ ، وَفِي تَبَضُّاتِهِ نَعَمٌ
 كَالسَّخْرِ ، فِي مِسْمَعِ الْإِلَهِامِ قَدْ سُكِبَا

جَرَتْ قَوَائِي فَوْقَ الطَّرْسِ يَرْقُمُهَا
وَجَدْتُ بَارُوعَ زَيْنًا بِهِ الْأَدَبَا
كُنَّا نَطَاطِي مَنَا الْهَامَ فِي خَجَلٍ
مِنْ قَادَةٍ أوردونا الدُّلَّ والعَطْبَا
بَاعُوا لِمَنْ نَصَبَتْ دُولَ رَهَا شَرَكَا
ضَمَائِرًا تَعْبُدُ الدُّوَلَارَ ، وَالذَّهْبَا
رَأَيْتُهُمْ فِي رِيَاضِ الْعُرْبِ أَغْرَبَةً
كُلُّ بَا لَحَنَتْ أَمْرِيكَةً نَعْبَا
حَتَّى إِذَا جُبْتَ آفَاقُ الْعُلَى قَرَا
جَمَّ الضِّيَاءِ ، وَنَجْمُ الْمَارِقِينَ خَبَا
وَرُحْتَ تَقْمُرُنَا بِالنُّورِ يَبْهَرُنَا
وَتَقْذِفُ الْمُعْتَدِي مِنْ مِصْرِنَا لَهْبَا
صِرْنَا نَتِيهَ عَلَى أَعْدَائِنَا عِظْمَا
وَنَزَفُ الرُّأْسَ حَتَّى يَغْلُو الشُّهْبَا
وَنَزْتَقِي مِنْبَرَ التَّارِيخِ نُشِيدُهُ
بَأَنَّا خَيْرُ شَعْبٍ فِي الْوَعَى خَطْبَا

بِأَنْسُرٍ تَمْلَأُ الْآفَاقَ مُرْعِدَةً
 وَتَشغَلُ الدَّهْرَ بِالْأَمْجَادِ ، وَالْكَتُبَا
 تَخْطُ وَحَدَّتْنَا بِالنَّارِ هَاطِلَةً
 مِنْ الْقَذَائِفِ تَلْقِي الذُّعْرَ ، وَالرُّعْبَا
 وَتَعْتَلِي الْيَمَّ ، يَمَّ الْعُرْبِ ، مَاخِرَةً
 مِنَّا الْأَسَاطِيلُ تَجْرِي فَوْقَهُ هِضْبَا
 وَيَزْحَفُ الْجَيْشُ نَحْوَ الْغَاصِيَيْنِ فَلَا
 صَوْبًا يُبْقِي لِصَهْيُونٍ ، وَلَا حَذَبَا
 تَقْوُدُهُ مِنْ جَمَالٍ عَزْمَةٌ نُضِيتْ
 تَدْلُكُ — حِينَ يُغِيرُ — الْجَحْفَلَ اللَّجْبَا
 حَتَّى إِذَا سَأَلَ التَّارِيخُ قَائِدَنَا
 عَنْهَا ، أَجَابَ : وَبَاءَ عَارِضٌ ذَهَبَا

* * *

إِنَّ أَطْلَقَ الرُّوسُ فِي أَفْقِ الدُّنْيَا قَرَاءً
 مَتْنِ الْفَضَاءِ إِلَى عَلَيَّائِهِ رَكْبَا

فالعُربُ قد أطلُّوا بدرينِ مالهما
 نَدُّ يباريهما بين الوريِ نسا
 شكري الذي كَلَّلَ التاريخُ هامتهُ
 غاراً ، وشدَّ إلى الشَّعْرى لهُ طُباً (١)
 والأَسْمَرُ الفَذُّ عِملاقُ الوغى ، وفى
 أحلامنا ، وصباحُ المجدِ مُرتَقياً
 جمالنا قاهرُ المستعمرين ، ومَنْ
 رأيتهُ لِرَحي آمالنا قُطبا
 سيفٌ ، يدُ اللهِ سَلَّتْهُ على دُولِ
 بَغَتْ علينا ، فلم نَشْهَدْ قَطُّ نَباً
 وفارسٌ ، رَكِبَ الإِقْدَامَ مُقْتَحِماً
 بعزمِهِ الهولَ في الهِجاءِ مُلْتَهَباً
 فَاوْنِي مَرَّةً عَنْ قَنْصِ بُغْيَتِهِ
 ولا رأيناهُ في ساحِ النِّضالِ كَباً

(١) الشعري : كوكب يطلع في الجوزاء .

ما كاد يَلْمُسُ مِنَّا القلبَ مُنْصَدِعًا
حَتَّى انْتَفَضْنَا ، وَصَدَعَ القلبَ قَدْرُثًا
مَنْ افْتَدَى قَوْمَهُ بِالنَّفْسِ يَبْذُلُهَا
قَدَتُهُ أَرْوَاحُهُمْ طُرًّا ، وَلَا عَجَبًا

* * *

بَاتَ الْجَمَالُ بِرُغْمِ الشَّيْبِ لِي أَرَبًا
لِأَنَّ فِي أَسْمِ جَالِ الْمُرْتَجَى الْأَرَبَا
وَاللَّهُ نَاصِرُ عَبْدٍ فِي نَقِيبَتِهِ
يُمْنٌ نَفْضٌ بِهِ الْيَأْسَ الَّذِي نَشِبَا (١)
لَمْ تَتَّحِدْ مِصْرُ مَعَ سُورِيَّةٍ أَبَدًا
إِلَّا الْعُلَى لَهَا وَالنَّصْرُ قَدْ كُتِبَا

* * *

مَا كُنْتُ أَحْلُمُ أَنَّ أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ
فِيهِ أَرَى أَمَلِي فِي نَصْرِنَا خَصْبًا
بِشَائِرِ الْوَحْدَةِ الْكَبْرَى لِأَمْتِنَا
عَنْهَا نَضَتْ بَعْدَ لَيْلِ الْمِحْنَةِ الْحُجْبَا

(١) النقيبة : النفس . واليمن : البركة .

وَأَقْبَلَ الْفَجْرُ مَرْهُوًّا بِغُرَّتِهِ
 وَبِالدَّمَاءِ ، دَمَاءِ الشَّارِ مَخْتَضِبَا
 غَدَاً يَمُدُّ لَنَا الْأُزْدُنُ رَاحَتَهُ
 مَعَ الْحِجَازِ ، وَيُمِيسِي الْمُرْجِفُونَ هَبَا
 وَفِي الْعِرَاقِ يُطِلُّ الصُّبْحُ مَبْتَسِمًا
 وَفِي الْجَزَائِرِ يُجْلِي الْوَعْدَ مَغْتَضِبَا
 وَبِالْمَنَاضِلِ لُبْنَانٍ نَتَمُّ غَدَاً
 حَوْلَ الصَّهَائِنِ طَوْقًا مُرْعَبًا ضَرْبَا
 وَنَسْتَرِدُّ فَلَسْطِينًا يُوَازِرُنَا
 نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ يَجْلُو الشَّكَّ وَالرَّيْبَا
 وَتَلْبَسُ الْقَدْسُ ، قَلْبُ الْعُرْبِ ، مُشْرِقَةً
 مِنْ بَعْدِ لَيْلِ الْأَسَى ، أَثْوَابَهَا الْقُشْبَا
 وَيُضْحَكُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ، وَصَخْرَتُهُ
 وَقَبَّةٌ فَوْقَهَا قَدْ بَزَّتِ الْقُبَا
 « اللَّهُ أَكْبَرُ » إِنْ دَوَّتْ مَا ذُنُهُ
 بِهَا ، أَصَاخَ إِلَيْهَا الدَّهْرُ وَانْجَذَبَا

وللنواقيسِ لحنٌ في كُنائِسيها
 سِترُكُ اللَّبِّ ، لُبُّ الكونِ ، مستلَبا
 لحنُ العُروبةِ في الدُّنيا لَهُ نَعَمٌ
 لغيرِهِ خافِقُ التَّاريخِ ما طَرِبا
 غداً بيافا وحيفا نَجْتِني أَمَلًا
 إِنَّ الطَّرِيقَ إلى أَعْجادِنَا لَحَبَا (١)
 سَفِينَةُ العُربِ لَنْ تُلقِي مَراسِيها
 إِلَّا بَتَلْ أَيْبِ ، فالغَدُ اقْتَرِبا
 رَبَّانُها الأَسْمَرُ العِملاقُ ناصِرُنا
 فَكَيْفَ نَخْشَى الرَّدَى في اليمِّ مَصْطَحِبًا؟
 كَأْسُ الشَّهادَةِ في كَفِّ الخُلُودِ غَدَتِ
 تُدارُ مُفْعَمَةً ، طُوبَى لِمَنْ شَرِبا
 حلب : ١ شباط ١٩٥٨

(١) لَحَبُ الطَّرِيقِ : وَضَح .

مَرْحَبًا يَا جَمَالَ

قيات يوم وصول زعيم العرب الرئيس جمال عبد الناصر رئيس
الجمهورية العربية المتحدة دمشق ، في آذار ، عام ١٩٥٨

هَنِّئُونِي بِأُمَّتِي هَنِّئُونِي
كَادَ مِنْ فَرَحِي يُجَنُّ جُنُونِي
نَقَضْتَ بِالْجِهَادِ غَزَلَ الْأَعَادِي
وَأَطَاحْتَ بِمَكْرِهِمْ ، وَالْخُصُونِ
فَخَرَجْنَا مِنْ قُمْقُمِ الْغَرْبِ جِنًّا
نُثْمَ رُحْنَا نَسْقِيهِ كَأْسَ الْمُنُونِ
وَسَحَقْنَا إِنْكِلِتْرَا وَفَرَنْسَا
فِي وَغَى ، تَصْهَرُ الْجِبَالُ ، زَبُونِ
سَائِلُوا تُرَبَّنَا بِبُورِ سَعِيدِ
إِنَّهُ بِالْجَوَابِ غَيْرُ ضَنِينِ
قَدْ خَضَبْنَاهُ بِالْدِّمَاءِ سُيُولًا
نَازِفَاتٍ مِنْ الْعَدُوِّ الْمُيِّنِ

كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ قَصِيدَةٌ فَخْرٌ
يَتَغَنَّى بِهَا لِسَانُ الْقُرُونِ
وَبَنَيْنَا عَلَى الْجَمَامِ مَجْدًا
لَمْ يَظَلَّ الْأَسَى بِرَفَقٍ وَابْنِ
ثُمَّ رُحْنَا نَخْطُ سِفْرَ الْمُعَالِي
بِيرَاعٍ مِدَادُهُ فِي الْوَتَيْنِ
وَجَعَلْنَا مِنَ الشَّامِ وَمِصْرَ
دَوْلَةً حَقَّقَتْ أَمَانِي السِّنِينَ
وَامْتَطَى نَسْرُهَا الْفُضَاءَ فِسِيحًا
بِجَنَاحِي عَزِيمٍ ، وَيَقِينِ
وَعَدَا جَيْشُهَا الْمُفْدَى لِقَوْمِي
خَيْرَ حِصْنٍ فِي النَّائِبَاتِ حَصِينِ
بَاتَ كَأُبُوسَ كُلِّ خَصْمٍ عَنِيدِ
جَاءَهُ مِنْ شِمَالِهِ وَالْيَمِينِ
قَدْ عَقَدْنَا لَوَاءَهُ لَجَالِ
طَوْدِهِ الشَّامِخِ الْأَيْيِ الْمَكِينِ

مَا عَسَى تَصْنَعُ الذِّبَابُ الضَّوَارِي
حِينَ يَعْلُو زَيْثُ كَيْثِ الْعَرِينِ ؟

* * *

لَا تُرْعَ يَا جِمَالُ مِنْ أَيِّ حِلْفٍ (١)
لَا يُجِدُ الذِّبَابُ غَيْرَ الطَّنِينِ
عَصَبَةٌ بَلْ عِصَابَةٌ مِنْ مُلُوكِ
وَرِجَالِ ، عُقُولُهُمْ فِي الْبُطُونِ
مَخِضُوا ، وَالْجَهِيضُ دَوْلَةٌ مَسْخُ
لَفَقَّتْ فِي دُجَى الْخُطُوبِ الْجُونِ (٢)
وُلِدَتْ مَيْتَةً ، فَهَاجُوا وَمَاجُوا
بِالْأَهَازِيغِ فَوْقَ قَبْرِ الدِّفِينِ
وَنِيوِ يُوْرُكُ أُمُّهَا وَأَبُوهَا
وَالرَّعَايَا مَا بَيْنَ وَغْدٍ وَدُونِ

-
- (١) المقصود بالحلف هنا حلف بغداد ، والاطلنطي وغيرهما من
الاحلاف الاستعمارية المتآمرة على استقلال الامم والشعوب .
(٢) هي دولة الاتحاد المزيفة بين الاردن والعراق .

أنا أدري بفاضلٍ وسميرٍ

وَبُنُورِي، وَمَالِكِ الْمُسْتَكِينِ (١)

ليس باشُ الأعيانِ رأساً فهذا

ذَنْبٌ باتَ يَزْدَهِى بِالْقُرُونِ (٢)

أَيَسَّمَى زِيْرٌ

وَهوَ نَحْسٌ ... فِي كُلِّ حِينِ (٣)

لو أَرَدْنَا تَشْبِيهَ إبليسَ يوماً

كَبَدًا مِنْ مِيَاهِهِ ، وَالطَّيْنِ

نَسَجَ الْغَدَرَ لِلَّذِي أَفْتَدِيهِ

بِقَصِيدِي ، وَمُهْجَتِي ، وَالْبَنِينَ

فَوَقَاهُ الرَّحْمَنُ مِنْ كَيْدِ نَزْلِ

فِي الْحَوَاشِي مُنَافِقٍ ، وَالْمُتُونِ

(١) هم فاضل الجمالي العراقي ، وسمير الرفاعي الاردني ، ونوري السعيد العراقي ، وشارل مالك اللبناني عملاء الاستعمار .

(٢) برهان الدين باش أعيان وزير خارجية العراق المتآمر على العروبة . وكلمة « باش » معناها بالتركية « رأس » .

(٣) حاول اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر بوساطة الشهم رئيس في الجمهورية السورية آنذاك .

ظَنَّ أَنَّ الضَّمِيرَ يُشْرَى بِمَالٍ
فَأَرَاهُ ... زَيْفَ الظُّنُونِ

أَمْ يُسَمَّى الْوَصِيُّ عَبْدَ إِلَهٍ
وَهُوَ، مُذْ كَانَ، عَبْدُ الْأُسْتَرَلِينِي (١)

فَإِذَا مَا رَأَى دُلَارَ أَمْرَكَ
فَنِيوِيوزُكَ كَهَبَةُ الْمَأْفُونِ

وملاهي باريِسَ مَسْجِدُهُ الْأَقْصَى،
وَفِي لَنْدُنْ كَنِيسُ اللَّعِينِ

دَنَسُوا الْقُدْسَ بِاتِّحَادِهِمُ الْمُخْزِي
وَأَرْضَ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ

مَا رَأَوْا فِي شَعْبِ الْعِرَاقِ الْمُفَدَى
وَلُيُوثِ الْأُرْدُنِّ أَيَّ مُعِينِ

لَيْسَ فِيهِمْ سِوَى فَتَى عَرَبِيٍّ
يَجْمَلُ رَئِيسِنَا مَفْتُونِ

(١) عبد الاله : هو الوصي على عرش العراق والختان الاول فيه .

هَالْ أَعْدَاءَ شَعِينَا مَا رَأَوْهُ
 فَذَاقُوا الْأَحْرَارَ وَنِيلَ السُّجُونِ
 أَتْنَا سَوَا مَصِيرَ كُلِّ غَشُومٍ
 أَمْ نَسُوا مَا جَرَى لِكُلِّ خَوْوَنٍ
 فَاصْبِحُوا إِلَيَّ ، أَبْنَاءَ قَوْمِي
 مُرْعِدًا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاسْمَعُونِي
 أَبْثُرُوا الْيَوْمَ كُلَّ عُضْوٍ خَبِيثٍ
 إِنَّهُ بِالْبَقَاءِ غَيْرُ قِمِينٍ
 كُلُّ مَنْ يَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ يَوْمًا
 سَيَرَى فِي الرَّدَى وَفَاءَ الدُّيُونِ

* * *

قَدْ أَقَامَ الْفُؤَادُ عُرْسًا بِصَدْرِي
 يَوْمَ وَافَى دِمَشْقَ مَاحِي السُّجُونِ
 فَاسْمَعِي زَغَرَاتِهِ يَا لِيَالِي
 وَأَصْبِحِي إِلَى شَجِيَّةِ اللَّحُونِ
 وَأَفْسَحِي لِي فِي أَفْقِكَ الرَّحْبَ دَرْبًا
 يَا دَرَارِي ، فَالْأَرْضُ لَا تَكْفِينِي

جَنَحْتَنِي مَسَرِّي بِحَمَالٍ
 فَتَهَادَتْ فَوْقَ السَّحَابِ سَفِينِي
 وَضَفَرْتُ الْكَوَاكِبَ الزُّهْرَ تَاجًا
 لَا بَنِ شَعْبِي ، فَرَانَهُ بِالْجَبِينِ
 إِنْ يَكُنْ زَاهِدًا بَعْرَشٍ ، فَإِنَّا
 قَدْ وَضَعْنَاهُ فِي سَوَادِ الْعُيُونِ
 أَوْ يَكُنْ سَاهِدًا ، فَإِنَّا جَعَلْنَا
 مَهْدَهُ مِنْ كُبُودِنَا وَالْجُفُونِ
 أَوْ يَكُنْ عَافٍ وَكَتَنَهُ النَّسْرُ حِينًا
 فَلَهُ فِي الصُّدُورِ أَسْمَى الْوُكُونِ
 لَا تَسَلَّنِي عَنْ سِرِّ حُبِّي جَمَالًا
 إِنْ سِرَّ الْفُؤَادِ غَيْرُ مَصُونِ
 فَأَعِنِّي عَلَى وُرُودِ حِرَائِي
 يَا رَاعِي ، وَيَا قَوَافِي أَيْبِنِي
 أَيُّ بَحْرِ يَكْفِي مِدَادًا لَوْصَفِي
 وَجَدَ قَلْبِي بِهِ ، وَأَيُّ مَعِينِ ؟

فَاغْفِرِي أُمَّتِي عِثَارَ بِيَانِي
إِنْ كَبَابِي جَوَادُهُ ، وَاعْذُرِينِي

* * *

يَا جَمَالُ الْحَبِيبُ ! يَا شُغْلَ قَلْبِي
وَمَدَارًا لِّصَبُوتِي ، وَحِينِي
أَنْتَ أَنْسَيْتَنِي ضَنَائِي ، وَكَرْبِي
وَانْبِعَاثَ الْأَنْبِيَاءِ تَلَوِّ الْأَنْبِيَاءِ
أَنْتَ ضَمَدْتَ يَا جَمَالُ جِرَاحِي
ثُمَّ كَفَكَفْتَ دَمْعَ قَلْبِي الْحَزِينِ
أَنْتَ جَلَجَلْتَ فِي سَمَاءِ جَنَانِي
فَهَمَمِي وَابِلُ الْمُنَى يُرْوِينِي
أَنْتَ نَضَّرْتَ فِي خَرِيفِ حَيَاتِي
أَمَلِي ، فَاكْتَسَتْ رِبْعًا غُضُونِي
أَنْتَ فَجَّرْتَ لِي يَنَابِعَ شَعْرِي
فَسَقَتْ ظَامِي النَّفُوسَ عُيُونِي
مَا مَسَّتْ الْغُضُونُ فِي وَجْهِ يَأْسِي
يَا حَبِيبِي ! حَتَّى تَلَاشَتْ غُضُونِي

كَمْ تَعَالَى عَلَى الْمُلُوكِ قَرِيبِي
 وَلَوْىَ الْحَدَّ شَامِخَ الْعَرْنِينِ
 وَأَتَاكَ الْغَدَاةَ يَجْدُوهُ شَوْقٌ
 كَادَ مِنْ لَفْحِ نَارِهِ يُصِمِّنِي
 فَنَحْنُ لَوْلَاكَ مَا شَمَخْنَا بِرَأْسِ
 وَخَلَعْنَا أَرْبَادَ ذُلٍّ ، وَهُونِ
 قَدْ بَعَثَ الْأَمَالَ فِي كُلِّ قَلْبٍ
 بِجِهَادٍ فَذٍّ ، وَخُلُقٍ مَتِينِ
 فَرَأَيْنَا فِي أَفْقٍ يَا فَا الْأَمَانِي
 بِاسْمَاتٍ ، وَفِي رُبُوعِ جَنِينِ
 وَتَرَكْتَ التَّارِيخَ خَلْفَكَ يَعْدُو
 لِأَهْنَأَ فِي سُهُولِهِ ، وَالْحُزُونِ
 رُحْتَ تُنْمِلِي عَلَيْهِ أَعْجَادَ قَوْمِي
 دَائِفَاتٍ كَصَوْبِ مُزْنٍ هَتُونِ
 دَعَاهُ شَطَرُ الشَّهْبَاءِ جَنْبَكَ يَمْشِي
 لَتَرَى عَيْنُهُ شُعَاعَ الْيَقِينِ

وَيَرَى فِي رِحَابِهَا كُلَّ صَدْرٍ
مِنْ لَهيبِ الْأَشْوَاقِ فِي آتُونٍ
وَيُلَاقِي فِي بَلَدَةِ الْمُتَنَبِّ
خَيْرَ شَعْبٍ عَلَى الْمُهْودِ أَمِينٍ
كُلُّ قَلْبٍ بِكَهْرَبَاءِ الْأَمَانِي
وَهَوَى عَبْدٍ نَاصِرٍ مَشْحُونٍ
سِرَاهُ يَرِفُ بَيْنَ الْخَنَازِيَا
وَيُغْنِي لِلْقَائِدِ الْمِيْمُونِ
لَاهِفًا خَافِقِي إِذَا لَمْ أَكْجَلْ
بِمَحْيَاكَ يَا جَمَالَ جُفُونِي

حلب : ٣ آذار سنة ١٩٥٨

كَفُّوا اليأس

اقتحت بالآيات الآتية اسبوع التسليح في حلب والمحافظات الشامية السورية ، وقد أذيعت من محطة الاذاعة السورية :

كَفُّوا اليأسَ يا رجالَ الكِفاحِ
وادْفِنُوهُ فِي غَيْبِ الْأُتْرَاحِ
نَفَضَ الْعَرَبُ عَنْهُمْ كُلَّكَ الدُّلَّ ، (م)
وزَانُوا تاجَ الْعُلَى بِالْأَضَاحِ
هَجَرَ النَّسْرُ سَفْحَهُ ، وتَوَارَى
خَلْفَ أَفْقٍ مِنَ السَّنَا اللَّمَّاحِ
سَاحِبًا ذَيْلَهُ عَلَى كُلِّ نَجْمِ
قد كَبَا عَنْ مَدَاهُ كُلُّ جَنَاحِ
وجِرَاحِ الثَّأْرِ الدِّفِينِ تَنْزَى
فِي مَلِكِ الْأَجْوَاءِ تَلَوَ جِرَاحِ
سَوْفَ يَنْقُضُ فَوْقَ تَلٍّ أَيْبِ
كَشِهَابٍ أَعْيَاهُ كَنْجُ الْجِمَاحِ

فَهَوَى مِنْ إِسَارِهِ يَتَلَطَّى
 عَرَبِيَّ الدَّوِيِّ ، جَمَّ الصِّياحِ
 فَتَلَقَّنِي رُجُومَنَا دَوْلَةَ الْحَزِي ، (م)
 وَأُخْتِ الْحَنَّا ، وَبَنَتْ السِّفَاحِ
 وَأَطِيقِي إِنْ اسْتَطَعْتَ صُمُوداً
 فِي لَهَيْبِ الْوَعَى ، وَعَصْفِ الرِّياحِ
 فِي غَدٍ يُطْبِقُ الْخِضَمُ بِشِدْقِيهِ (م)
 عَلَى كُلِّ فَايَسَقٍ سَفَاحِ
 وَتَسِيلُ الدِّمَاءَ خُجْراً فَتَغْدُو
 طَابِريّاً رَمَسَ الْعُدَاةِ الْقَبَاحِ (١)
 سَرَطَانُ الْيَهُودِ فِي الشَّرْقِ فَاثَرُ
 وَلَدَى الْعُرْبِ مَبْضَعُ الْجَرَّاحِ
 لَمْ يَزَلْ فِي عُرُوقِنَا قَاصِفُ الْبَأْسِ (م)
 يُدَوِّي مِنْ خَالِدٍ ، وَصَلَّاحِ

(١) نظمت القصيدة هذه بعد هجوم اسرائيل الغادر من بحيرة طبريا
 على سورية .

زَايِلَ اللَّيْلِ أَرْضَنَا ، وَسَيَبْدُو
 بَعْدَ فَجْرِ قَانٍ ضِيَاءُ الصَّبَاحِ
 وَسَنُتْقِي إِنْكِلتِرَا وَفَرَنَسَا
 فِي خِصْمٍ مِنَ الْآسَى ، وَالنُّوَاحِ
 لَمْ تُخْلَدْ مَدَى الدَّهْوَرِ صُرُوحُ
 قَطُّ إِلَّا عَلَى ذُرَى الْأَرْوَاحِ

* * *

رَبَضَ الْجِيْشُ فِي الْعَرَيْنِ لِيَحْمِي
 كُلَّ مَنْ فِيهِ مِنْ أَذَى الْمُجْتَاكِ
 وَالْمَنَايَا تَنْصَبُ سَيْلًا عَلَيْهِ
 كَالسَّحَابِ الْمُعْرِبِ الْمَلْحاحِ
 فَهُوَ لَا يَبْتَغِي سِوَى الْمَالِ حَتَّى
 يَسْحَقَ الْخِصْمَ ، وَهُوَ شَاكِي السِّلَاحِ
 فَابْذُلُوا الْمَالَ لِلدِّفَاعِ وَفِيرًا

لَا تُقَاسُ الْأَمْوَالُ بِالْأَرْوَاحِ

حلب : ١٧ - كانون الاول سنة ١٩٥٥

نَشِيدُ الشَّارِ

(دور)

إِسْمِعِي	يَا رَبِّي
وَاشْهَدِي	يَا دُنِّي
كَيْفَ نُلْقِي الْيَهُودَ	وَانْظُرِي يَا نُجُودَ

فِي اللُّحُودِ

(اللازمة)

ثَارُنَا كُنْ يَنَامْ	لَا أَمَانَ ، لَا سَلَامَ
لِلْعُدَاةِ اللَّئَامِ	مَا وَرَاءَ الْخُدُودِ

لِلْيَهُودِ

(دور)

يَا رِصَاصُ تَلْعَلِ	يَا مَدَافِعُ أَصْرَعِي
خَصْمَنَا ، وَرَوِّعِي	كُلَّ مَنْ لِلْيَهُودِ

مِنْ جُنُودِ

(دور)

غَلَيَانَ الْمَرْجَلِ
سَوْفَ يَخْلُو الْوُجُودَ

تَلَّ أَيْبُ سَجَلِي
بِالرَّدَى الْمُجَلِّجِ

مِنْ يَهُودَ

(دور)

الْأَمَانِي الْعَذَابِ
فِي انْقِضَاضِ الشَّبَابِ

مِنْ مُتُونِ الْهَضَابِ
يَقْصِفُونَ إِلَيْهِ يَهُودَ

كَالرُّعُودِ

حلب : تموز سنة ١٩٥٦

جزائر الجزائر

أراد غي موليه ، رئيس وزراء فرنسا ، الذي تصدى لآبادة
إخواننا عرب الجزائر الأشاوس الذين دوخوا فرنسا ، ودحروا
جحافلها ، أراد أن يستر إخفاق دولته (الكبرى ؟ !) في الجزائر ،
بأثارة شريكته بريطانيا (غير العظمى) لتهديد منقذ مصر العربية
وزعيم العرب الرئيس جمال عبدالناصر ، باكتساح الشقيقة الكبرى مصر ،
على أثر تأميمه شركة قناة السويس ، التي تمتلك الدولتان جميع أسهمها
تقريباً ، فقلت الأبيات الآتية موجهة الى رئيس وزراء فرنسا :

أَغِي مُولِيهِ ، جَزَارَ الْجَزَائِرِ
دَعِ التَّهْوِيلَ ، وَاصْمُدْ لِلْقَسَاوِرِ
بِحَقِّ فَرَنْسَةٍ ، بَلَدِ الْمَخَازِي
وَكُلِّ مَعْرَبِدٍ فِيهَا مُقَامِرِ
وَكُلِّ مَدِينَةٍ فِيهَا ثُبَاهِي
بَوْفَرَةٍ مَالِدِيهَا مِنْ قَوَاجِرِ
وَمَا تَجْلُوهُ مِنْ حُمْرِ اللَّيَالِي
لِكُلِّ فَتَى بِسُمْعَةٍ يُغَامِرِ

وَمَا جَادَتْ بِهِ الْحَانَتْ مِمَّا
يُنْزَلُ كُلُّ أَرْكَانِ البصائر

وَكُلِّ مَبَاءٍ لِلْعَارِ رَاحَتْ
تُرَوِّدُ بِالْبَغَايَا كُلِّ دَاعِرٍ (١)

وَمَا بَاعَتْهُ مِنْ عِرْضٍ خَسِيسٍ
بِأَسْوَاقِ الْفُجُورِ لِكُلِّ تَاجِرٍ

بِحَقِّ غُصُونِ غَيْدِكَ ، وَهِيَ تَذْوِي
بِحَقِّ جَمِيعِ هَاتِيكَ (الْمَفَاخِرُ)

بِحَقِّ جِيُوشِ هَتَلَرٍ ، وَهِيَ تُلْقِي
بِشَبَكِ الْمَهَانَةِ ، وَهِيَ صَاغِرٌ

دَعِ التَّهْوِيشَ ، وَاحْتَمِلِ الْبَلَايَا
يُوجِّجُ نَارَهَا لَكَ عَبْدٌ نَاصِرٌ

فَتَى ، بِنَبُوغٍ خَالِدٍ قَدْ تَحَلَّى
لِيَنْطُشَ بِالْأَعَادِي بِطَشٍ قَادِرٍ (٢)

(١) المباءة : المنزل .

(٢) خالد : هو خالد بن الوليد القائد العربي المغوار .

وَأَلَّ إِلَيْهِ مِنْ عَمْرٍو دَهَاءُ
أَحَالَ عَلَى الْهَزِيمَةِ كُلَّ مَا كَرَّ (١)
فِيَابَنَ فَرَنْسَةَ إلهِيَّاتٍ يُجْدِي
وَعَيْدُكَ بِالْقِتَالِ ، وَأَنْتَ خَائِرُ
فِيَانِكَ إِنْ جَمَعْتَ ، وَلَمْ تُحَازِرْ
فَسَوْفَ تَوُؤُّ فِي مِصْرَ الْمُقَابِرِ
وَلَنْ تُجْدِيَ الْجَحَافِلُ مِنْ فَرَنْسَا
مُرَوَّدَةً بِأَطْنَانِ الذَّخَائِرِ
فَلِلْحَقِّ الْمُبِينِ جُنُودٌ صِدْقُ
تُبَدِّدُ مَا جَمَعْتَ مِنْ الْعَسَاكِرِ
فَفَتِّحْ عَيْنَ قَلْبِكَ بَعْدَ غُمْضِ
لِتُبْصِرَ أَيْنَ أَنْتَ الْيَوْمَ سَائِرُ
فَمَنْ أَرَخْتَ بِصِيرَتُهُ سِتَاراً
عَلَيْهَا ، بَاتَ فِي شَرِّ الْمَصَايِرِ
حلب : ٨ آب ١٩٥٦

(١) عمرو : هو عمرو بن العاص داهية العرب الأكبر .

وعند بلفور

يا وعد بلفور ! قد أيقظتنا فم
على الضغائن ، والأحقاد ، والنقم
جمعت صهيون من صوب ، ومن حدب
لتصنع الشرق من أبنائهم بدم
غداً تسير على أجدائهم زمراً
من أمي ، ترهب الآساد في الآجم
فندرك الثأر ، والتاريخ يزقمه
بالنور ، يكشف نور الشمس ، لا القلم
ولن نبقي دياراً يراوغنا
ويشهر الغدر ، والتنكيل في الظلم
ودير ياسين ، إنا سوف نرفعها
على جماجمهم تنهل كالديم
لا يكشف الشر في ليل الخطوب سوى
هيجاء تكتسح الظلماء بالضرم

حلب : ٢ تشرين الثاني ١٩٥٦

خِلِّ السكاكيني

أُقيمت في الحفلة التأبينية الكبرى لصديق الشاعر، وجاره الأديب الفلسطيني المعروف الأستاذ خليل السكاكيني، عضو المجمع اللغوي المصري وقد مات في القاهرة غريباً عن بلده ، بعد نكبة فلسطين الفادحة ، وقد أقيمت الحفلة في القدس ، بلد الفقيد الكبير ، في ٩ أيلول ١٩٥٥ ، يوم زارها الشاعر بعد مرور سبع سنوات على هجرته منها الى حلب الشهباء :

نُحَاوِلُ كَفِّي الْيَوْمَ أَنْ تُمَسِكَ الْقَلْبَا
فَلَا يَهْجُرَ الْأَضْلَاعَ مِنْ كَهْفِهِ وَثْبَا
لَقَدْ شَمَّ ثَرْبَ الْقُدْسِ يَعْْبَقُ ، فَا نَبْرَى
يَدُقُّ حَنَايَا الصُّدْرِ ، كِي يَلْتَمَ الثَّرْبَا
رَأَى ثَغْرِي الْمَلْهُوفَ بَعْدَ زُوجِنَا ،
يُرَوِّي الثَّرَى لَثْمًا ، وَيَمَحُضُهُ الْجُبَا
فَنَارَ مِنَ الثَّغْرِ الْمَشُوقِ ، وَلَمْ يُطِقْ
بَقَاءَ عَلَى الْأَشْوَاقِ ، أَضْرَمَتْ الْجَنَابَا
أَنَا تَكَ يَا قَلْبِي !... لَسْنَا طَالَتِ النَّوَى
وَرُحْتَ جَرِيحًا ، تَذَرُغُ الشَّرْقَ ، وَالْغَرْبَا

فلا بُدَّ ، بعدَ البَيْنِ ، أن تُفْرِخَ المُنَى
 ويَزْجَعَ مَنْ قد غادرَ الأهلَ ، والصُّحْبَا
 وإن ضاقتِ الدُّنيا عليه ، فَحَسْبُهُ
 ضَرِيحٌ ، يراهُ في ثَرَى قُدْسِهِ رَحْبَا
 ففي بَلَدِ الأَقْصَى تُرْفَرِفُ رُوحُهُ
 مُسامِرةً في جَوْهَ البدرِ ، والسُّحْبَا
 ويَجْمِلُها زَهْرُ الرُّبِّي ، ونَسِيمُها
 وشَمْعُ دَراريها يُنِيرُ لَهُ الدُّرْبَا
 فيا وطني ! بُلِّغْتَ عِنْدِي رُتْبَةً
 مِن الحُبِّ ، حتَّى كِدْتَ تُصْبِحُ لي رَبًّا

* * *

وَعَدْتُ فَوادِي بالِلِّقاءِ ، فَجُنَّ في
 مَلاعِبِهِ ، إذْ لم يُحَقِّقْ لَهُ الوَعْدُ
 فكم مِن غَدَرٍ ، شَيْعَتُهُ بِمَدَامَعِي
 وقد صارَ أَمْسًا ، ضَمَّ أَحْشَاءَهُ اللُّحْدُ

خَشِيتُ انْصِرَامَ الْعُمْرِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ أَرَى
بِلَادِي ، فَيَطْوِينِي مِنَ الْجَدَثِ الْغَمْدُ
لَنْ شَاءَتْ الْأَقْدَارُ عَوْدَةَ نَازِحٍ
فَسَوْفَ يَشَاءُ الْعَزْمُ أَنْ يَرْجِعَ الْمَجْدُ
وَيُتَحَقَّقَ رَايَاتُ الْعُرُوبَةِ عَالِيَاً
عَلَى السَّاحِلِ الْغَرْبِيِّ يَحْرُسُهَا الْجُنْدُ
وَيُنْتَرَى فِي الدُّنْيَا الْيَهُودُ تَشَرُّدَاً
غَدَاةَ جُيُوشِ الْعَرَبِ يَنْظِمُهَا عَقْدُ
وَيَنْدِمِلَ الْجَرْخُ الَّذِي زَفَّ الْمُنَى
وَيَكْسَحُ جَزَرَ الْخَطِّ فِي أُمِّي الْمَدُّ
فَيَضْحَكُ مَحْزُونٌ ، وَتَشْدُو نَوَائِحُ ،
وَيُوقِعُ الْحَانَ الرَّضَى الْعَابِقِ الْوَجْدُ
يَفْتَرُّ ثَغْرُ الزَّهْرِ فِي الْوَهْدِ ، وَالرُّبَى
وَيَنْفَحُنَا بِالْعَطْرِ فِي رَوْضِهِ الْوَرْدُ
لَنْ شَتَّ النَّحْسُ الْأَحِبَّةَ فِي الدُّنْيَا
فَقَدْ يَجْمَعُ الْأَحْبَابَ فِي الْوَطَنِ السَّعْدُ

أَيَا وَطَنِي ! قَدْ عُدْتُ مِنْ بَعْدِ غَيْبَةِ
تَفَطَّرَ فِيهَا الْقَلْبُ مِنْ لَوْعَةِ الْيَمِينِ
زَفْتُ دُمُوعَ الْعَيْنِ حُزْناً ، وَلَهْفَةً
إِلَى تَرْبَةِ أَعْلَى لَدَيَّ مِنَ الْعَيْنِ
عَلَيَّ لِأَرْضِ الْقُدْسِ دَيْنٌ ، فَلَيْتَنِي
تُسَدِّدُ رُوحِي الْيَوْمَ جُزْءاً مِنَ الدِّينِ
يُمَحِّصُهَا التُّرْبُ الْمُقَدَّسُ رَأْفَةً
لِتَخْلُصَ مِمَّا حَزَّ فِيهَا مِنَ الْآثِنِ
وَتَبْحَثَ عَنْ رُوحِ « الْخَلِيلِ » ، يَدُلُّهَا
عَلَيْهَا أَرِيحُ النُّبُلِ مَا بَيْنَ سُورَيْنِ
قَضَى نَارِحاً عَنْ مَوْطِنٍ ، غَالَهُ الْأَسَى
وَأَصْبَحَ مِنْ تَنْبِيهِ بَيْنَ فَكَّيْنِ
فَجَاءَتْ لِتَبْنِي فِي الْقِيَامَةِ عُشَّهَا
مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَابِ قَوْسَيْنِ (١)

(١) القيامة : كنيسة القيامة في القدس .

سَتَبَمُهَا رُوحِي لِتَبْنِي وَكُنْهَا
 عَلَى الْقُبَّةِ الشَّمَاءِ، إِنْ فُزْتُ بِالْحَيْنِ (١)
 وَتَسْرَحُ فِي سَاحِ الْجَمَى، وَدُرُوبِهِ
 وَنَحْرُسُ أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ بِرُوحَيْنِ (٢)
 فَن لَمْ يُقَدِّمَ رُوحَهُ لِبِلَادِهِ
 — مَتَى شَبَّتِ الْهَيْجَاءُ — مَاتَ مِنَ الشَّيْنِ

* * *

أَتَيْتُ لِأَرِثِي صَاحِبَا كَانَ صَارِمًا
 مِنَ الْعَزْمِ ، يَا بِي أَنْ يُثْلِمَ حَدَّهُ
 رَأَى الْإِنْكَالِيزَ الْفَاشِمِينَ تَجَاوَزُوا
 'حُدُودَهُمْ' ، وَالْبَطْشُ جَافَاهُ غَمْدُهُ
 فَسَارَ عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ مُجَلِّجًا
 خَلِيلٌ ، وَدَوَّى فِي الْمَنَابِرِ رَعْدُهُ
 وَرَوَّعَ مَنْ فِي لَنْدُنْ مِنْ جَحَافِلٍ
 صَرِيحُ رِوَاغٍ ، قَامَ فِي الْقُدْسِ مَجْدُهُ

(١) القبة : قبة الصخرة في القدس .

(٢) أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ : مَدِينَةُ الْقُدْسِ .

فَخَفَّ جَزَارُ الْوَرَى عُفْوَانُهُ
وَشَدَّ شَكِيمَ الْبَرْبَرِيَّةِ جُنْدُهُ
وَرَاخَ السَّكَاكِينُ يُنْهَضُ عَارِئاً
مِنَ الْمَجْدِ، فِي شَغْبٍ تَنَازَرَتْ عِقْدُهُ
إِذَا كَادَ يَوْمًا يَجْمَعُ الشَّمْلَ ظَافِراً
تَفَجَّرَ فِيمَنْ دَانَ لِلْغَرْبِ حِقْدُهُ
وَخَافَ مِنَ الشَّمْلِ الْجَمِيعِ، لِأَنَّهُ
بَدَأَ فِيهِ لِلْوَعْدِ الْمُخَايَلِ حُلْدُهُ
مَتَى شَبَّ فِي شَغْبٍ إِبَاءً، تَقَوَّضَتْ
ذُرَى الظَّالِمِ الْعَاقِي، وَأَدْبَرَ عَهْدُهُ
وَتَحَقَّتْ أَصْوَاتُ الذِّئَابِ حَقَارَةً
إِذَا صَاحَ فِي الْقَابِ الْمُنْعِ أُنْسُهُ

* * *

أَتْنِي مِنْ رُوحِ الْخَلِيلِ رِسَالَةٌ
تَقُولُ: إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ يُشْرَحَ الصَّدْرُ

وَتُورِقَ آمَالِي ، وَيُنْكَشِفَ الْأَسَى
فَكَفِكَ دُمُوعَ الْقَلْبِ مَا أَسْعَفَ الصَّبْرُ
وَهَاتِ مِنَ الْوَحْيِ الْمَوْجِبِ مَاحِقًا
مِنَ الثُّورَةِ الْحَمْرَاءِ يُضْرِمُهَا الشَّعْرُ
فَتَلْتَهُمُ الْأَوْغَادَ مِنْ زُعْمَائِنَا
وَقَدْ لَفَّهُمْ أَحْيَاءُ فِي الْكَفَنِ الْغَدْرُ
فَكَمْ آزَرُوا الْأَخْصَامَ سِرًّا ، وَمَادَرُوا
بَأَنَّ فَوَادَ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سِرٌّ
أَبَاحُوا حِمَاهُمْ لِلْعَدُوِّ خِيَانَةً
وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْفَاءُ جُرْمِهِمْ سِتْرُ
وَمَنْ رَبِحَ الْأَمْوَالَ مِنْ نُصْرَةِ الْعِدَى
فَمَا رِبْحُهُ إِلَّا الدَّنَاءَةُ ، وَالْخُسْرُ
وَمَنْ شَادَ قَصْرًا فَوْقَ أَشْلَاءِ مَوْطِنٍ
فَمَا الْقَصْرُ إِلَّا الْعَارُ تُشِيدُ ، وَالْقَبْرُ
تَنَاهَتْ بَلَايَا الْحَاكِمِينَ ، وَلَمْ نَجِدْ
لِمَرْثِيِنَا نِدَاءً بِهِ يَنْجَلِي الْعُسْرُ

ذَكَرْنَاهُ إِذْ حَاقَ الشَّقَاءُ بِقَوْمِنَا
« فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ »

* * *

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي الْبِلَادِ ، فَلَا أَرَى
زَعِيماً ، نَمَتْهُ الْعُرْبُ ، يَقْظَانِ وَاعِيَا
تَشَبَّثَ بِالْكَرْسِيِّ كُلُّ مُزَيَّفٍ
مِنَ الْقَادَةِ الْمُسْتَوْرِدِينَ الدَّوَاهِيَا
غَرَامُهُمْ مَلَأَ الْجُيُوبَ ، وَكُلُّهُمْ
إِذَا مَا دَجَا اللَّيْلُ ، اسْتَسَاغُوا الْمَخَازِيَا
إِذَا لَبَسُوا الْحَزَّ النَّفِيسَ ، تَبَخْتَرُوا
وَإِنْ أَقْبَى الشَّعْبُ الْمَنِيَّةَ عَارِيَا
وَدِيدَنَّهُمْ حَشَوُ الْبُطُونِ شِرَاهَةً
وَلَوْ وَرَدَ الشَّعْبُ الْمَنِيَّةَ طَاوِيَا
وَإِنْ شَاهَدُوا الْغَادَاتِ ، سَالَ لُعَابُهُمْ
وَلَوْ كَانَ شَيْخاً ، عَاشِقُ الْغَيْدِ ، فَانِيَا

وَمِنْ خَلْفِهِمْ بِنَهْيِهِ

غُرَابٌ أَتَانَا لِلْمُرُوبَةِ نَاهِيَا (١)
يَصُدُّ جِيوشَ الْمُعْتَدِينَ ، وَنَارَهُمْ
بِمَقُولِ ثَرْثَارٍ ، يُجَلِّجِلُ دَاوِيَا
وَيُفْقِي عَلَى الضَّيْمِ الْمَذِلِّ ، وَخَصْمَنَا
يُغَيِّرُ عَلَى أَجْنَادِ قَوْمِي عَادِيَا
فَلَنْ تَتْرَكَ الضَّانَ الذَّئْبُ سَلِيمَةً
إِذَا كَانَ رَاعِيهَا الْمَغْلَلُ غَافِيَا

* * *

أَلِفْنَا ، إِذَا اجْتَاَحَ الْيَهُودُ حُدُودَنَا
لِيُوثَ شَرِّى ، أَنْ لَانَنَامَ عَلَى الْأَلَمِّ (٢)
وَنُرْسِلَ بَرَقِيَّاتِنَا وَوُفُودَنَا
لِنَتَجَارَّ بِالشُّكُوى إِلَى هَيْئَةِ الْأُمَمِ

(١) هُوَ السَّيِّدُ

(٢) كَانَ هَذَا قَبْلَ قِيَامِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ .

الى هيئة ، لولا صفاقة وجهها
 لكان اليهود اليوم لحماً على وضم
 أيشكو الى الأم الوحيد أخونهي
 بلا من شرور الأم سيلاً من النقم ؟
 وأعظم ما يستدرج الهم صاعقاً
 شكاية عصفور أساه الى الرخم
 فما المجد إلا للقوي مجديلاً
 أعاديته في مفرك يورد القدم
 وما العز إلا أن تنبه على الورد
 وقد نثرت ممن فتكت به الرمم
 فكم بعثت للظافرين أريجها
 زهور الربى والروض فجراً مع النسم
 وكم زغردت للفاتحين بلابل
 وكم رجت ، فخرأ بهم أسد الأجم
 ألم نك يا تاريخنا سادة الدني
 وحلم عذارى المجد قدماً ، ولم ؟ ولم ؟

تَنَادَى بَنُو قَوْمِي جَمِيعاً لِفُرْقَةٍ
وخصمهمُ قد أنشَبَ النَّابَ وَالظُّفْرَا
لقد سُلِبَتْ غَدْرًا فِلَسْطِينُ مِنْهُمْ
وما قامَ حتَّى اليَوْمِ مِنْ يَقْنِصِ النَّصْرَا
وَقِيَ اللَّهُ لُبْنَانًا وَسُورِيَةً مَعَا
أَسَى قَدْ شَرِبْنَا كَأْسَهُ ، وَوَقِيَ مِصْرَا
وَلَسْتُ أَرَى الْأُرْدُنَّ عَنْهُ بِنَجْوَةٍ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ حَادِثٌ يَقْصِمُ الظَّهْرَا
وَقَادُتْنَا لَاهٍ بِجَوَاءِ جُلْهُمْ
وَأُوسِمَةَ زَانُوا ، بَوَافِرِهَا الصَّدْرَا
إِذَا مَا تَلَاقُوا ، فَالْعِنَاقُ مُوَجَّجٌ ،
وَبَثُّ هَوًى يَجْلُو أَمَانِينَا خُضْرَا
وَإِنْ حَلَّ كُلُّ مِنْهُمْ بَطْنَ جُجْرِهِ
نَضَا حُجْبَ الْبُهْتَانِ ، وَادَّرَعَ الْغَدْرَا
وَرَا حَ يُجَا فِي قَوْمِهِ مُتَبَجِّحَا
بِمَاجَاءِ مِنْ نُكْرٍ ، وَتَاهَ بِهِ فِخْرَا

سِينْدُمُ « لَكِنْ لَا تَسَاعَةَ مَنَدَمُ »

غَدَاةَ يَرَى آمَالَهُ ذَهَبَتْ هَذَا

فَلَنْ يَجْنِيَ الْخَيْرَ الْعَمِيمَ مُوَرَّجًا

كَأَنْفَاسٍ وَزِدِ الرُّوضِ ، مَنْ زَرَعَ الشَّرَّ

* * *

أَرَى خَلْفَ سِتْرِ الْغَيْبِ بَارِقَ نَهْضَةٍ

تُغْنِي لَهَا الدُّنْيَا ، وَيَبْتَسِمُ الزَّمَنُ

يَقُومُ بِهَا مِنَّا شَبَابٌ ، تَكَلَّهَتْ

بِهِمْ أَعْيُنٌ لِّلْمَجْدِ لَا تَعْرِفُ الْوَسْنَ

يَصُدُّونَ عَنِ مَالٍ مِنَ الْغَرْبِ دَافِقٌ

يَكُونُ لِنَخَّاسِي سُعُوبُهُمُ الثَّمَنُ

وَيَشْرُونَ بِالْأَرْوَاحِ جَنَّاتٍ عَذْنَهُمْ

مَتَى اكْتَسَحُوا الْأَعْدَاءَ ذُودًا عَنِ الْوُطْنِ

وَلَنْ يَمْلِكُوا إِلَّا مَا تَنَادَوْا إِلَى الْوَعَى

هُوَ أَرَا جِيحَ الْحِمَامِ سَوَى الْكَفَنِ

ولن يترُكوا سِراً عَنِ الْعَرَبِ خَافِئاً
 فَسِرُّهُمْ ، إِنْ كَانَ يَنْفَعُنَا ، عَلَنُ
 وَلَنْ يَغْرَقُوا يَوْماً كَجُلٍّ مُلُوكُنَا
 وَقَادَتِنَا ، فِي الْمَخْزِيَّاتِ إِلَى الذَّقَنِ
 وَهِيَّاتٍ تُغْرِيبُهُمْ أَمْرُكَ بِأَهْلِهَا
 فَحَاشَا الشَّبَابَ الْحُرَّ أَنْ يَعْْبُدَ الْوَثْنَ
 وَإِنْ وَهَنْتَ فِي الْكَهْلِ يَوْماً عَزِيمَةً
 فَحَاشَا الْفَتَى الْمِقْدَامَ أَنْ يَعْرِفَ الْوَهْنَ
 وَإِنْ كَانَ لَا يَقْضِي الشَّبَابُ عَلَى الْعِدَى
 وَيَسْتَأْصِلُ الشَّعْبَ الْعُضَالَ ، فَمَنْ إِذَنْ ؟

* * *

إِلَيْكَ خَلِيلَ الرُّوحِ مِنِّي قَصِيدَةً
 أَطَلْتُ عَلَى أَخْرَاكَ مِنْ شُرْفَةِ الْقَلْبِ
 وَمَا لِي فِيهَا يَا أَخِي غَيْرُ خَطِّهَا
 لَا نَزَّكَ مُوَحِّيَهَا إِلَى وَاحِدِ الْجَنْبِ
 أَتَيْتُ بِهَا أَرْتِيكَ فِي الْقُدْسِ مُجَحِّفًا
 بِحَقِّكَ فِي ذَرْفِ الْمَدَامِعِ وَالنَّدْبِ

لَأَنَّكَ حَيٌّ ، وَالرِّثَاءُ يُقَالُ فِي
مَنْ انْدَفَقَتْ كَالْجِسْمِ ذِكْرَاهُ فِي التُّرْبِ
وغيرِكَ مِنْ قَوَادِنَا ، بِرِثَائِنَا
هُمُ الْيَوْمَ أَوْ لِي مِنْكَ يَا مَفْخَرِ الْعُرْبِ
يَدْبُونَ مِنْ فَوْقِ الثَّرَى بِضُمَائِهِ
قَضَتْ نَجْمَهُمَا مِنْ هَيْضَةِ الزَّيْفِ وَالْكِذْبِ (١)
وَأَنْتَ ضَمِيرٌ خَالِدٌ ، وَمُرُوءَةٌ
رَفِيفٌ شَذَاهَا فَاحٍ فِي الشَّرْقِ ، وَالْغَرْبِ
عَلَيْكَ سَلَامُ الضَّادِ ، وَالْمَجْدِ ، وَالْعُلَى ،
وَدَمْعَةٌ مَحْزُونَةٍ تَدَاعَى مِنَ الْخَطْبِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْضَيْتُ رُوحَكَ ، فَالْمَنَى
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ ، فَالرُّزْءُ شَرَّدَ لِي لُبِّي
وَحَسْبِيَ أَنِّي قَدْ نَظَّمْتُ ابْنَ أَضْلَعِي
قَصِيداً بِهِ أَزِي أَمَانِينَا ، حَسْبِي

القدس : ٩ أيلول ١٩٥٥

(١) الهیضة : مرض الكوليرا .

ذكري فلسطين

بمناسبة مرور عشر سنوات على تقسيم فلسطين الغالية

ذِكرى فلسطينَ أسفاراً من الأَلمِ-

تَحُطُّها مَهْجَتِي مَغْمُوسَةً بِدَمِي

ذِكرى، تُعَانِئُهَا الأَكْبَادُ مُغَوِّلَةً

على الثَّرَى نَافِحاً طِيباً، على الحَرَمِ-

على مَرَاتِعِنَا فِي القُدْسِ عَامِرَةً

بِكُلِّ ذِي رَحِمٍ، أَوْ غَيْرِ ذِي رَحِمِ-

على المَآذِنِ فِي الأَقْصَى مُرَدِّدَةً

«اللهُ أَكْبَرُ» فِي عِزٍّ، وَفِي شَمَمِ-

على انْثَوَاقِيسٍ فِي مَهْدِ المَسِيحِ دَعَتْ

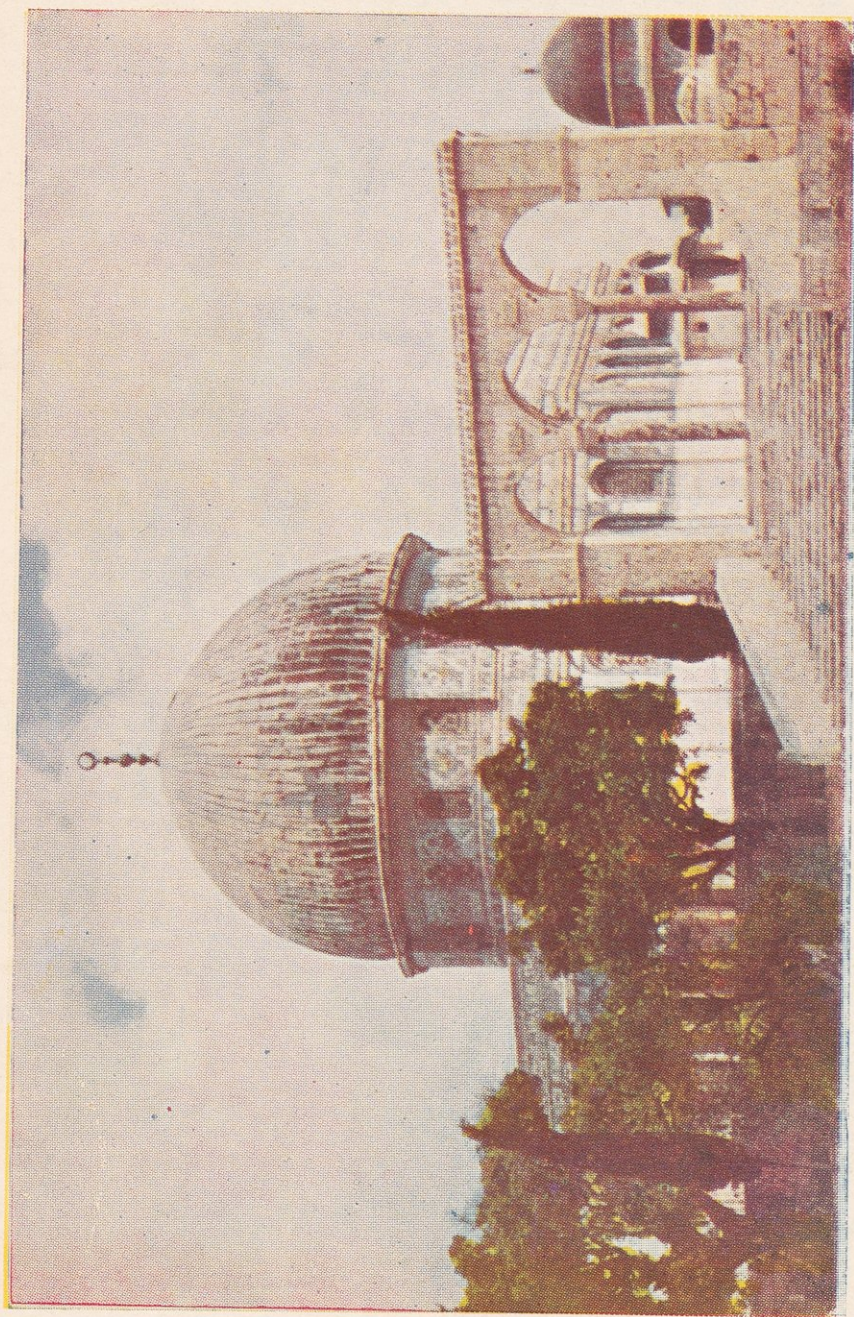
إِلَى مُوْاخَاةِ إِيَّاسٍ لِمُعْتَصِمِ-

على بَسَاتِينِ يَافَا، وَهِيَ حَالِيَةٌ

بِالنُّورِ يَشْتَارُهُ نَيْسَانُهَا بِقَمِ-

عَلَى شَهْ أَطْيَاهَا، وَالْخُلْدُ قَدْ نَشِرَتْ

ظِلَالُهُ فَوْقَهَا مَبْسُوطَةً النِّعَمِ-



قبة الصخرة المشرفة - القدس

على قوارِ بها عند الغروبِ جرتْ
مثلَ الحمايمِ فوقَ اليمِّ ، لا الرِّخْمِ
كم ودَّ قلبي لو مدَّ الشَّغافَ لها ،
مدى الحياة ، شراعاً قاني الأدمِ
على الأبيَّةِ حيفا ، وهي رابضةٌ
والبحرُ من حولها يخنو على القدمِ
على خليجِ لَمَكَّا ، فيه كم سبحتْ
زُهر الكواكبِ في يَمٍّ من الظلمِ
على الشَّهولِ ، يُحليها زُمُرُدها ،
على السُّفوحِ ، على الأوداءِ والقِصَمِ
على الينابيعِ ، قلبُ الصَّخْرِ فجَّرَها
كحُبٍّ غائبةٍ من ، قبلُ لم تهمِ
على الجداولِ بالخصباءِ موقعةً
لحنَ الخلودِ خيراً ساحرَ الكلامِ
على الأَقاحي التي كُنَّا نساثلها
لكي تُجيبَ بلا ، في الحُبِّ ، أو نَعَمِ

على العنادل في الأغصان مُنْشِدَةً
 قصائدي بشجيِّ اللحن ، والنغم
 على نسيم الروابي ، وهو يهمس لي
 بحبه البكر ، ما أحلى هوى النَّسم
 على الحقول ، وقد أخت سنا بلها
 رؤسها ، وكنوز التبر لم ترم
 على نحالين أبكي ، وهي نازفة
 ودير ياسين ، والأشلاء كالآكم

* * *

ذكري تمزق منها خافقي المأ
 فما أمض الآسى إن شيب بالأم
 قد انطوت عشرة الأعوام مذ سألوا
 عنا فلسطين ، والآمال في عظم
 حتى شهدنا لهيب العزم مُتَقِدَا
 في الغرب ، فخر شعوب الأرض والأمم

فَمَا عَرَفْتُ لِقَوْمِي فِي انْتِفَاضَتِهِمْ
 نِدَاءً ، يُطَاوِلُهُمْ فِي الْبَأْسِ ، وَالْهَمِّ
 غَدًا يُغَيِّرُونَ ، وَإِلَّا سَكُنْدَرُونَ لَنَا
 تَعَوُّدُ رَغَمِ أَنْوْفِ التُّرْكِ ، وَالْعَجَمِ
 وَنَسْتَرِدُّ فَلِسْطِينًا ، وَقَدْ زُرَعَتْ
 مِنَ الصَّهَابِينَ بِالْأَجْدَاثِ ، وَالزَّمَمِ
 يَرَى الْيَهُودُ غَدًا مِنَّا عَمَالِقَةً
 فِي الْحَرْبِ ، تَجْعَلُهُمْ حُمَاً عَلَى وَضَمِ
 غَدًا ، يَرَوْنَ نُسُورَ الْعُرْبِ مُرْعِدَةً
 تَرْمِيهِمْ بِالْمَنَايَا الْحُمُرِ كَالدَّيْمِ
 غَدًا نَصُبُ عَلَيْهِمُ ثَأْرَنَا حُمَاً
 تُنْسِي جَهَنَّمَ مَا فِيهَا مِنَ الْحُمَمِ
 غَدًا سَنَنْزِلُ جِنًّا فِي رُبُوعِهِمْ
 وَالْحَقْدُ طَيِّ حَنَايَا الصَّدْرِ فِي ضَرَمِ
 غَدًا ، سَنَنْصَهَرُهُمْ فِي جَوْفِ بُوتَقَةٍ
 تَحْدُو جَحَافِلَهُمْ طَرًّا إِلَى الْعَدَمِ

غداً ، سنفتك - و الهيجاء و اريه -
بكل منقطع - أو غير منقطع -
غداً ، تريل جنود الضاد من نشزوا
منّا ، و باتوا لا أمريكا من الحدم -
فلن نرى عاهلاً أقصى مطامعهم
أن يلبس التاج ، مزهواً على الحشم -
و يعتلي العرش ، لو كانت دعائمه
جماجم الشعب لم يرضخ لهم
إن قال دالاس زوراً ، فهو مستمع
أوقالت العرب حقاً ، فهو في صمم (١)
ينحكي الخفافيش في نوم النهار ، فإن
جن الدجى ، خاف من بطش ، فلم ينم -
من يزرع الحقد في صدر الرعية لم
يخصد سوى الهول ، والآلام ، والعدم -

(١) هو جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة ،
وعدو العرب الاكبر .

إِنَّا غَدًا سَنَرَى أَعْمَادَنَا انْتَلَقَتْ
 كَالشَّمْسِ يُبْصِرُهَا فِي الْغَرْبِ كُلُّ عَمٍ
 وَحِلْفُ بَغْدَادَ لَنْ يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ
 فِي أَرْضِنَا ، فَيَزُولُ الشَّمُّ فِي الدَّسَمِ
 وَتَنْجَلِي غَيْمَةٌ دَكْنَاءَ لَبْدَهَا
 جَوْرُ الْفَرَنْسِيِّسِ ، أَهْلُ الْغَدْرِ وَالنِّقَمِ
 فَفِي الْجَزَائِرِ آسَادٌ إِذَا زَارُوا
 دَوَى زَيْتْرُهُمْ فِي الْبَيْدِ ، وَالْأَجَمِ
 وَمَا فَرَنْسَا لَدَيْهِمْ فِي جَحَافِلِهَا
 سَوَى قَطِيعِ أَوْرُتِيٍّ مِنْ النِّعَمِ
 وَفِي عُثْمَانَ ، سَيَجْثُو الْأَنْكَلِيزُ غَدًا
 أَمَامَ غَالِبٍ ، فِي إِطْرَاقِ مُنْهَزِمٍ (١)
 وَيَنْسِلُ الْعُرْبُ مِنْ صَوْبٍ ، وَمِنْ حَدَبٍ
 جَيْشًا تَوَحَّدَ فِي الْأَهْدَافِ ، وَالنُّظُمِ

(١) الامام غالب هو إمام عمان الشرعي ، الذي وقف في وجه
 بريطانيا مع شعبه وقفة جبارة ، كبذتها كثير من الحُسائر في الأرواح ،
 والعتاد .

يَقُودُهُ الْأَسْمَرُ الْجَبَّارُ مَنْدُفَعًا
عَلَى الْيَهُودِ كَسِيلٍ دَافِقٍ ، عَرَمَ-
جَمَالُ ، هَازِمُ جَيْشِ الْغَرْبِ مَتَّحِدًا
فِي نُوزٍ سَعِيدٍ ، بَعَزَمَ غَيْرُ مُنْثَلِمِ-
قَدْ جَاءَنَا الْغَرْبُ عَمَلِقًا لِيَغْزُونَا
فَحَالَ يَوْمَ تَلَاقِنَا إِلَى قَزَمِ-
غَدًا ، جَمَالُ يَرَانِي تَحْتَ رَايَتِهِ
أَمْشِي وَزَوْجِي بِالْأَوْلَادِ كُلِّهِمْ-
غَدًا ، يَرَانِي جُنْدِيًّا لَهُ خَطَرٌ
فِي الْحَرْبِ رَغَمَ نَذِيرِ الشَّيْبِ بِالْهَرَمِ-
غَدًا ، بَنِي يَرَاهُمْ ، وَالْبَنَاتِ مَعًا
فِي تَلٍّ أَيْبٍ كَمُنْهَلٍ مِنَ الرَّجْمِ-
غَدًا ، إِذَا قِيلَ : مَا أُسْرَائِيلُ ؟ قَالَ لَهُمْ :
خُرَافَةٌ هِيَ ، أَوْضَعْتُ مِنَ الْحُلَمِ-

حلب : ٢٩ / ١١ / ١٩٥٧

جميلة بوحيرد

هي المجاهدة الجزائرية البطلة ، التي قاتلت الفرنسيين في حروب
الجزائر قتالا عنيفا ، ثم وقعت في أسرهم ، فأذاقوها ألوان العذاب :

عجوزٌ تدّعي اليومَ الشبابَ
وترهقُ شعرَها مَتَهَا خضابا
وتَمْتِنُ الدّعارةَ ، وهي تُرخي
مُباهيةً ، على الشَّرَفِ الحِجابا
تَمزّقَ عِرْضَها سِلْواً ، فَسِلْواً
وأوسَعَهُ بَنُو الليلِ انتِهابا
وتَنزِلُ عَقْرَباً في كُلِّ أَرْضٍ
فَتَلدَغُ بالزُّبَانِ والزُّبَانِ (١)
وَحَلَفَتِ المُرُوءَةَ في حِمَاها
تَوَلَّوْا وَهِيَ تَعْتَزِمُ الذَّهَابا
وَأَذْبَرَتِ الشَّهَامَةَ ، وَهِيَ تُكَلِّي
مُرُوءَةً ، وَمَزَقَتِ الثِّيَابا

(١) زباني العقرب : ماتلدغ به من طرف ذنبها وزناهاها : قرناها .

وراح النبلُ يَلطمُ مستغيثاً
 وولّى عن مغانيها اغتراباً
 فهل ترعى الفجورَ سوى فرنسا
 وتنبئُ خِسةً ، وتخطُّ عاباً ؟
 وهل في العالمين سوى فرنسا
 تَبذُّ الوحشَ أظفاراً وناباً ؟
 تشدّقُ بالعلّى ، والمجدِ صرفاً
 وأنى ؟ فالورى عَرَفُوا السَّراباً
 لئن زعمتُ بأنَّ لها جيوشاً
 تدكُّ حصُونَ يَغْرُبُ والهضابا
 وتقتحمُ المعاقِلَ ، وهي تُثمُّ
 فإنَّ لدى جزائرنّا الجوابا
 أتوها بالحديدِ ، وبالمنايا
 مِنَ الأجواءِ تنصبُّ انصبابا
 فما وجدوا سوى عُقبانِ حربٍ
 بهم هزئوا ، وما حَسَبُوا حسابا

فهِلْ تَخْشَى الْكُوَاِسِرُ - وَهِيَ تَبْغِي
 فَرِيسَتَهَا - إِذَا لَقِيتَ ذُبَابَا
 وَلَمْ لَمْ تَجِدْ إِلَّا أَسُودَا
 فَرَنَسَةً يُنْزِلُونَ لَهَا الْعِقَابَا
 وَيَصْطَلِمُونَ فِي الْأَهْرَاسِ مِنْهَا
 جِيوشًا تُفْقِدُ الرُّعْبَ الصُّوَابَا
 فَضَتْ سَيْفَ الْخُطُوبِ عَلَى الْغَوَايِ
 وَصَيَّرَتْ الْجُسُومَ لَهُ قِرَابَا
 أَذَاقَتْهُنَّ تَمِيلًا ، وَخَسَفًا
 وَسَامَتْهُنَّ فِي السِّجْنِ الْعَذَابَا
 فِتْلِكَ جَمِيلَةً ، إِحْدَى الضَّحَايَا
 غَدَتْ تَشْكُو مِنَ الظُّلْمِ الْقَلَابَا
 رَاقُوا جَامَ حِقْدِهِمْ عَلَيْهَا
 وَمَزَّقَ سَوْطُهُمْ مِنْهَا الْإِهَابَا
 أَتَاهَا جَيْشُهُمْ جُرْذَانِ حَرْبٍ
 فَبَاتُوا عِنْدَهَا أَسَدًا غَضَابَا

رَأَوْا فِي سِجْنِهِمْ حَمَلًا وَدِيْعًا
فَصَارُوا فِي حَظِيرَتِهِمْ ذِئَابًا
وَلَوْ جَاءُوا اللَّبْوَةَ فِي عَرِينٍ
لَفَرُّوا مِنْ بُطُولِهَا ارْتِعَابًا
فَمَنْ نَزَلَ الْوَغَى بِالْجُبْنِ دِرْعًا
كَجَيْشِ فَرَنْسَةِ ، حَمْدِ الْإِيَابَا

* * *

جَمِيلَةٌ ! يَا مَلِكَةَ كُلِّ قَلْبٍ
هَهَا نَحْوِ الْبَطُولَةِ ، وَاسْتَطَابَا
جَمِيلَةٌ ! يَا ضِيَاءَ لَمْ يَكُنْ لِي
سِوَى فَجْرِ يُنِيرُ لِي الدَّرَابَا
أَضَاءَ شَبَابُهُ سُبُلَ الْأَمَانِي
وَرَدَّ إِلَى عُروْبَتِنَا الشَّبَابَا
صَبْرَتِ عَلَى الْعَذَابِ وَلَمْ تَبُوحِي
بِسِرِّكَ ، فَافْتَدَيْتِ بِكَ الصِّحَابَا

سَكَتَ ، فَكَنتَ أَبْلَغَ مَنْ عَرَفْنَا

لَعَمْرُ الْحَقِّ فِي الْجَلَّى خَطَابَا

إِذَا فَتَحُوا مِنَ التَّنْكِيلِ بَابَا

سَدَدَتْ عَلَيْهِمُ بِالصَّمْتِ بَابَا

أَثَرَتِ الْعَالِمِينَ عَلَى فَرَنْسَا

فَحَلَّ جَبِينُ سُمُعَتِهَا التُّرَابَا

وَرَا حِ الدَّهْرُ يَنْصُقُ مُشْمِزًا

عَلَيْهَا ، وَهَوَ يَنْتَفِضُ اضْطَرَابَا

وَلَمَّا أَقْدَمْتُ تَمَلِّي الْمَخَازِي

عَلَى التَّارِيخِ ، مِنْهُ الرَّأْسُ شَابَا

تَنَاسَتْ جَيْشَ هِتْلَرٍ حِينَ أَمْسَى

تَدْوَسَ نِعَالُهُ مِنْهَا الرِّقَابَا

وَجَحَفَلَ نَاصِرٌ فِي بُورٍ سَعِيدٍ

غَدَاةَ أَذَاقِهَا الْأَهْوَالِ صَابَا

سَتَدُكُرُنَا مَتَى جِئْنَا غَزَاةً

وَصَيَّرْنَا مَدَائِنَهَا خَرَابَا

فَمَنْ بَذَرَ الْأَسَى ، حَصَدَ الدَّوَاهِي
وَبَاتَ مُصَابُهُ يَقْقُو مُصَابَا

* * *

رَأَيْتُ بَنِي اللَّيْطَةِ لَمْ تُثْرِهِمْ
فَظَائِعُ قَدْ نَضَّوْا عَنْهَا النَّقَابَا

فَمَا أَبَقَتْ مَا ثَمُّهُمْ عَجُوزًا ،
وَلَا طِفْلًا يَدِبُّ ، وَلَا كَهَابَا

وَنَارُوا مُرْعِدِينَ غَدَاةَ لَايِكَا
مَضَتْ كَالسَّهْمِ تَخْتَرِقُ السَّحَابَا (١)

فَلَمْ أَرَ فِي الَّذِي فَعَلْتَ فَرْنَسَا
وَغَضَبَةَ شَعْبِهَا الْعَجَبَ الْعُجَابَا

فَقَدْ تَارُوا لِأَخْتِهِمْ جَمِيعًا
وَلَمْ أَعْرِفْهُمْ إِلَّا كِلَابَا

(١) هي الكلبة لا يكا التي أطلقها الروس في قمرهم الاصطناعي الثاني حول الكرة الأرضية ، فثار الفرنسيون ومستعمرو الغرب دفاعاً عن الكلبة .



المجاهدة - جميلة بروحيرد

لَقَدْ لَوَّثْتُ شَعْرِي يَا فَرَنْسَا
 بِذِكْرِكَ ، وَانْتَحَيْتُ بِهِ السَّبَابَا
 فَرِيحُ الرُّوضِ ، إِنْ جَازَتْ نَتِينًا ،
 غَدَتْ بِنْتَانَةٌ تَغْزُو الرِّحَابَا
 وَعَقَّمْتُ الْيَرَاعَ ، فَلَسْتُ أَخْشَى
 عَلَيْهِ بِالتَّفَرُّنْسِ أَنْ يُصَابَا
 فَا أَسْمُكَ غَيْرُ جُرْثُومٍ خَبِيثٍ
 إِلَى السَّرَطَانِ خِلْتُ لَهُ انْتِسَابَا
 وَقَانَا يَا فَرَنْسَةُ مِنْكَ رَبِّي
 وَأَوْرَدَكَ الْمَصَائِبَ وَالتَّبَابَا

حلب : آذار ١٩٥٨

يا رَبِّ

نظمتها عندما حشد الاتراك جيوشهم على حدود سورية الشمالية،
في خريف عام ١٩٥٧ :

يَا رَبِّ ! زَوِّدْنَا بعزمٍ لا يَلِينُ
يَا رَبِّ ! أَوْزِدْنَا حِيَاضَ الْمُقْتَدِينَ
يَا رَبِّ ! هَبْنَا فِي الْوَعَى النُّصْرَ الْمُبِينِ
يَا رَبِّ ! أَيِّدْنَا عَلَى الْمُسْتَعْمَرِينَ

يَا حَفِيزُ يَا مُعِينُ
يَا رَبِّ يَا رَبِّ

سَنَسْحَقُ الْغَرَبَا إِنْ هَاجَمَ الْعُرَبَا
وَنَفْتَحُ الدَّرَبَا لِلْعَزِّ وَالْمَجْدِ
لِلْعَزِّ وَالْمَجْدِ

* * *

لَا تَطْمَعُوا يَا تُرْكُ فِي وَضْعِ قَدَمٍ
فِي أَرْضِنَا ، فَدُونَهَا نَارٌ وَدَمٌ

إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَجْرُعُوا كَأْسَ الْعَذَابِ
وَتَنْزُرُوا أَشْلَاءَكُمْ فَوْقَ الْأَكْمَامِ

فَأُضْرِبُوا النَّارَ وَهَاجُوا الْجَارَ
لِتَحْمِلُوا الْعَارَ وَالْحَزِيَّ لِلْحَدِ
وَالْحَزِيَّ لِلْحَدِ

* * *

إِنْ تَحْشُدُوا شِمَالَنَا الْجُنُودَ
تَرَوْا حُدُودَنَا غَدَتِ لُحُودَ
وَفِي الْجَنُوبِ نَسْحَقُ الْيَهُودَ
النَّسْلَ ، وَالْآبَاءَ ، وَالْجُدُودَ

الْتَرَكُوا وَأَسْرَأَيْلَ قُوَّةَ
فَلَنَدْفِنِ التَّدْجِيلَ وَالْعَدْرَ فِي الْغَمَدِ
وَالْعَدْرَ فِي الْغَمَدِ

هَاقِدَ أَطْلَ الْيَوْمِ فَجَرُ الْمُنَى
وَدَغْدَغَ الْبَشْرِ حَوَاشِي الْهَنَا

وَمَجَّدَ التَّارِيخُ أَبْطَالَنا

بِیُوزِ سَعِيدٍ، وَغَدًا عِنْدَنَا

سَيُسْحَقُ الْأَخْصَامُ وَتَحْقُقُ الْأَعْلَامُ

عَلَى رُبُوعِ الشَّامِ فِي السَّهْلِ وَالنَّجْدِ

فِي السَّهْلِ وَالنَّجْدِ

حلب ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٧

نحن والحزائر

أَكَاذُ أَكْفَرُ - رَغَمَ الْقَلْبِ - بِالْعَرَبِ
وَأَحْسِبُ الْجِدَثَ الْمَهْجُورَ أَجْدَرِي
أُدِيرُ طَرْفِي فِي قَوْمِي ، فَلَسْتُ أَرَى
غَيْرَ التَّفْسُخِ ، وَالْأَدْوَاءِ ، وَالْكُرْبِ
لَا هُمْ غَيْرَ الْأَنَانِيَّاتِ أَشْغَلْنَا
حَتَّى شَرِبْنَا كَوْثُوسَ الْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (١)
نَهَوَى الْكَرَاسِيَّ - لَا كَانَتْ - وَلَوْ رُفِعَتْ
عَلَى دَعَائِمِ صَهْيُونِيَّةِ النَّسَبِ
وَنَشْتَهِي التَّاجَ تُصَيِّنَا جَوَاهِرُهُ
وَمَا يُجَلِّيهِ مِنْ دُرٍّ ، وَمِنْ ذَهَبِ
وَمَا عَلَيْنَا إِذَا مَا هَامُنَا صَفِرَتْ
- يَا لَلْمَخَازِي - مِنَ الْعِرْفَانِ وَالْأَدَبِ

(١) الحرب : الهلاك .

وَحَسْبُ قَادِتِنَا صَيْدُ الْحِسَانِ بِمَا
بَاعُوا بِهِ قَوْمَهُمْ مِنْ وَافِرِ النَّشَبِ
وَمَا تَسِيلُ بِهِ أَرْوَاحُهُمْ نَهَمًا
إِلَى مَبَاذِلِهِمْ حَمَاءَ كَاللَّهَبِ
الشَّعْبُ يَبْكِي أَسَىً مِنْ هَوْلِ نَكْبَتِهِ ،
وَهُمْ قَدْ انْغَمَسُوا فِي حَمَاقَةِ الطَّرَبِ
لَا يَحْسَبُنَّ بَأَنَّا فِي النَّدَى سُحْبُ
فَيَطْمَعُوا بِالسَّخَاءِ الْجَمِّ فِي السُّحْبِ
فَالسُّحْبُ قَدْ تَغْتَدِي فِي قُبَّةِ الْجَلْدِ
فَهَوَّارَةٌ الْكَبْدِ رِعَادَةُ الْجَسَدِ
مِنْ وَقْدَةِ الْفَضْبِ

* * *

مَاتَتْ عَلَى جُرْفِ الْبُؤْسَى أُمَانِينَا
وَضِيعَ الشَّعْبِ دُونَ الْوَرْدِ رَاعِينَا
قَدْ سَاقْنَا غَنَمًا ، حَتَّى إِذَا التَّهَبَتْ
أَطْمَأَأَهُ اتَّخَذَتْ مِنَّا الْقَرَايِينَا

إِذَا رَأَيْتَ رُعَاةَ السَّوَاءِ قَدْ بَطَرُوا
 فَلَنْ تَرَى فِيهِمْ إِلَّا سَرَا حِينَا
 وَإِنْ غَدَا الْعَقْلُ فِي مَلِكٍ يُسِيرُهُ
 هَوَى الْفَوَادِ ، فَقُلْ جُنْتُ مَا سِينَا
 قَدْ يُذْهِلُ اللَّهُ شَعْبًا عَنْ مُرَوِّعِهِ
 وَيُغَمِّضُ الْعَيْنَ عَنْ آثَامِهِ حِينَا
 وَيُطْلِقُ الصَّبْرَ ، يَزْعَى الْحَقْدَانِ نَشِبَتْ
 جُذُورُهُ فِي حَنَائِيَاهُمْ سَكَ كِينَا
 حَتَّى إِذَا أَغْفَتِ الْأَرْزَاءُ ، أَيْقَظَهُمْ
 صَوْتُ يُقَوِّضُ عَرْشَ الْمُسْتَبِيدِينَا
 صَوْتُ التَّدْمِيرِ وَالْبَلَوَى ، بِهِ جَارَتْ
 نَفُوسُ مَنْ بَلَّوْا الْجُلَى أَفَانِينَا (١)
 صَوْتُ الْبُطُونِ ، مِنَ الْخُبْزِ الْقَفَارِ خَلَتْ
 لِشُعْبَعِ الْحَاكِمِينَ الْأَشْعَبِينَا
 صَوْتُ يُدَوِّي ، فِيهِوِي عَنْ عُروَشِهِمْ
 عَوَاهِلُ وَرَدُّوا مِنَّا الشَّرَايِينَا

(١) الْجُلَى : الْخُطْبُ الْعَظِيمُ .

فالشَّعْبُ إِن تَارَا يُنِقِ جَبَّارَا
عَلَى الْوَرَى جَارَا وَأَرْسَلَ النَّارَا

مِنْهُ بَرَا كِينَا

* * *

هَذِهِ هَذَتْ حِقْدِي فَمَا أَغْفَى، لَأَنَّ لَهُ
مُورِقًا فِي أَبِي هَوَلٍ حَكَى الصُّنَا
تَمِيدُ مِنْ حَوْلِهِ أَقْطَارُنَا شَجْنَا
وَيَنْزِفُ الدَّنْغُرُ مِمَّا قَدْ أَصَابَ دَمَا
حَتَّى شَرِبْنَا أَجَاغَ الدَّمْعِ مُلْتَهَبًا
وَاقْتَاتَتِ الْعُرْبُ فِي لَأْوَائِهَا الْأَمَّا
وَهَبَّتِ النِّكْبَاتُ السُّودُ عَاصِفَةً
فَلَمْ يُجْرِكْ إِلَى تَسْكِينِهَا قَدَمَا
كَأَنَّ عُصْبَةَ أَهْلِ الْكَهْفِ عِثْرَتُهُ
إِذْ رَاحَ يُطَبِّقُ جَفْنًا وَاهِيًا، وَفَمَا (١)
قُلْنَا : الْمَخْدَرُ..... مَضَى فِإِذَا
وَجْهُ الْمَخْدَرِ اقْتَحَمَا

(١) العترة : رهط الرجل وعشيرته الأذنون ممن مضى وغيره .

يَتِيَهُ - مَا عَاشَ - فِي غَيْبَوْبَةٍ حَفَلَتْ
بِمَا يَجِيءُ بِهِ الْكَابُوسُ مُخْتَدِمًا
لَمْ يَسْمَعْ النَّوْحَ ، لَكِنْ لَيْسَ ذَا صَمَمٍ
وَلَمْ يَرِ الضَّيْمَ ، لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ عَمَى
مَا شِمْتُ بَارِقَ خَيْرٍ لَاحَ فِي بَلَدٍ
مَنْذُ ابْتُلَيْنَا بِهِ ، يَوْمًا ، وَلَا نِعْمًا
فَالنَّحْسُ رَائِدُهُ وَالْجُبْنُ قَائِدُهُ
وَالْوَيْلُ عَائِدُهُ وَالشَّرُّ صَائِدُهُ
وَإِنْ أَتَى النُّجْمَا
عَاتَبْتُ قَلْبِي عَلَى الْيَأْسِ الَّذِي نَشَبْتُ
مِنْهُ الْأَظْفَرُ حَتَّى كَادَ يَصْرَعُهُ
وَرَحْتُ أَمْسَحُ دَمْعًا قَانِيًا سُفِحْتُ
سُيُولُهُ ، وَحَيَاةُ الْقَلْبِ أَدْمَعُهُ
فَقَالَ : لَا تَدَّعِ الصَّبْرَ الَّذِي صَفِرَتْ
مِنْهُ الْجَوَانِحُ ، وَاسْتَهْوَتْكَ أَرْبَعُهُ
أَلَمْ تَرَ الْمَوْتَ فِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ قَدْ
أَلْقَى عَصَاهُ ، وَدَكَ الْغِيلَ مِدْفَعُهُ

صَبَّتْ عَلَيْهِ بِرَاكِينُ الْوَعْيِ حُمَاءً
لَمْ يَلْقَ قَطْرٌ لَهَا نِدَاءً يُرْوَعُهُ

وَبَاتَ الْغَيْدُ أَشْلَاءً ، كَمَا انْتَثَرَتْ
أَفْلاذُ أَكْبَادِ شَعْبٍ ثَارَ أَجْمَعُهُ

وَالشُّيُوخُ أَنْيُنٌ عِنْدَمَا احْتَضَرُوا ،
غَيْرُ الضَّمِيرِ مُصِيحاً ، لَيْسَ يَسْمَعُهُ

وَالشَّبَابُ انْدَفَاعٌ نَحْوَ مَضْرَعِهِمْ
مِثْلَ الْآتِيِّ الَّذِي لَا شَيْءَ يُرْجَعُهُ

فَالْمَجْدُ لَا تَمَلَأُ الدُّنْيَا أَشْعَثُهُ
مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ سَمَاءِ الْحَرْبِ مَطْلَعُهُ

أَيَا فَرَنْسَا ! غَدًا تَأْتِينَ صَاغِرَةً
وَرِدَاءً مِنَ الْهَوْلِ ، أَرْضُ الْعَرَبِ مَنَبَعُهُ

فَالْعَرَبُ إِنْ حَمَلُوا تَرِثَ الْأَجَلَ
وَأُورِقَ الْأَمَلُ وَالْخَصْمُ مُنْشَغِلُ

بِالرُّعْبِ يَدْفَعُهُ

* * *

كَفِّي فَرْنَسَةً ، يَا أُخْتَ الرَّذِيلَةِ عَنْ
سَكَبِ الْمَنِيَّةِ فِي كَأْسٍ مِنَ النَّارِ
وَنَكْسِي الرَّأْسَ مِنْ نَصْرِ ، جَهَضَتْ بِهِ ،
مُلَطَّخٍ بِدَمَاءِ الْإِثْمِ ، وَالْعَارِ
وَتَوَجَّيْ رَأْسَكَ الْمَنْخُورَ ، خَاوِيَةً
أَرْجَاؤُهُ ، يَبْيَسُ الشُّوكُ لَا الْغَارِ
وَلَا تَخَالِي الرَّدَى تُبْقِي مَنَاجِلَهُ
عَلَى رُعَاةٍ لَنَا ، كَالْيَاسِ ، أَشْرَارِ
أَغْضَوْ شَنَارًا عَنِ الْفَتَكِ الَّذِي ابْتَلَيْتَ
بِهِ الْجَزَائِرُ مِنْ سَاطُورِ جَزَّارِ
يَرَعَى الْحِمَامُ بَنِي قَوْمِي هُنَاكَ بِلَا
رِفْقٍ ، بِحَيْشٍ شَدِيدِ الْبَطْشِ جَرَّارِ
وَبَعْضُ قَادِتِنَا الْأَوْغَادِ قَدْ عَمَدُوا
إِلَى احْتِجَاجِ رَكِيكِ النَّسْجِ خَوَّارِ
هُنَاكَ فَاجِرَةُ الدُّنْيَا ، قَدْ انْفَجَرَتْ
مِنْهَا الْقَنَابِلُ أَمْ رِيكِيَّةَ الدَّارِ

وَعِنْدَنَا انْفَجَرَتْ فِي كُلِّ عَاصِمَةٍ
 حَنَاجِرٌ هَدَدَتْ بِالْفَتْكِ وَالنَّارِ
 فَهَلْ تُصَدُّ جَحِيمُ الْحَرْبِ مَاحِقَةً
 بِمَقُولِ جَاحِمِ الْأَلْفَاظِ ثَرْنَارِ (١)
 فَالْحَطْبُ لَا يَنْجَلِي بِالْمِدْرَةِ الْوَكِيلِ (٢)
 بَلْ بِالْفَتَى الْبَطْلِ يَخْطُو إِلَى الْأَجَلِ
 خُطُواتِ مِغْوَارِ

* * *

مَا لِلتَّشَاوُمِ ضَمَّتَنِي جَوَانِحُهُ
 وَرُحْتُ أُورِدُ قَلْبِي الْهَمَّ ، وَ الْحَزْنَ
 وَكَيْفَ أَنْسَى فَرَنْسَا ، وَهِيَ جَائِيَةٌ
 أَمَامَ هِتْلَرِ ذُلًّا ، أَظْهَرَ الْجُبْنَ
 دَاسَتْ جَحَافِلُهُ بِالنَّعْلِ هَامَتَهَا ،
 وَهَدَمَ الْجُورُ مِنْ سَادَاتِهَا الْبَدْنَ
 وَأَرْقَ الْعَسْفُ أَجْفَانًا قَدْ انْفَتَحَتْ
 عَلَى الْمَخَازِي ، فَعَاثَتْ فِي الدُّجَى الْوَسْنَ

(١) المقول : اللسان .

(٢) المدره : زعيم القوم والمتكلم عنهم . الوكل الجبان .

عَدَا تَجُوسُ جِيُوشِ الْعُرْبِ ظَافِرَةً
 خِلَالَ بَارِيسَ تُلْقِي الرُّعْبَ وَالْمَحَنَا
 اللَّهُ أَكْبَرُ ! إِنْ دَوَّتْ حَنَاجِرُنَا
 بِهَا ، تَرْتَلَزِلْ رُكْنُ الْمُعْتَدِي وَهَنَا
 وَأَصْبَحَتْ أَرْضُ شُعْبِ السَّيْنِ أَنْدَلُسًا
 سَيُخَضِّعُ الْعُرْبُ فِيهَا الْخَصْمَ ، وَالزُّمَنَا
 وَلَنْ تَزْحَظَهُمْ عَنْهَا عِمَالِقَةٌ
 مِنْ الْخُطُوبِ تَزْفُ الْوَيْلَ ، وَالشَّجَنَا
 وَلَنْ تَرَى غَيْرَ قَعْرِ الْيَمِّ مَدْفَنَهَا
 فَرَنْسَةً ، وَسُوى أُمُوَاهِ كَفَنَا
 فَمَنْ عَدَا ظَالِمًا يَوْمًا عَلَى وَطَنِ
 غَدَتْ لِشُعْبٍ مُغِيرٍ أَرْضُهُ وَطَنَا
 فَالْعَسْفُ فَتَاكَ جَنَاهُ أَشْوَاكَ
 مَا عَاشَ سَفَاكَ لَمْ تَغْدُ أَشْرَاكَ
 قَبْرًا بِهِ دُفِنَا

حلب : ١٩٥٦/٥/٥١

ثورة العراق

نظمت الابيات الآتية في الساعة الاولى بعد إعلان الجمهورية العراقية ، وكنت أظن أن عبد الإله ولي عهد العراق ، وفيصلامليكه ، ونوري السعيد رئيس وزرائه ، موجودون في تركيا لحضور مؤتمر حلف بغداد الاستعماري الذي كان سيعقد هناك صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ :

اللَّهُ أَكْبَرُ اِزَالَ الْوَيْلُ وَالْحَرْبُ
وَحَقَّقَتْ حُلْمَهَا ، رَغِمَ الْعِدَى ، الْعَرَبُ
وَنَارَ أَبْطَالُ بَغْدَادٍ ، تُؤَاذِرُهُمْ
يَدُ الْإِلَهِ ، فَأَوْدَى الشَّرُّ وَالْكَرْبُ
وَدُكَّ عَرْشٌ عَلَى إِنْكِلِتْرَا رُفِعَتْ
لَهُ دَعَائِمُ قَامَتْ فَوْقَهَا نُصْبُ
وَبَاتَ فَيَصَلُّ عِنْدَ التَّرِكِ مُؤْتَزِرًا
بِالْحَزَنِيِّ ، لَا تَأْجُهُ بَاقٍ ، وَلَا النَّشَبُ
قَدْ ادَّعَى ضَلَّةً أَنَّ الرُّسُولَ لَهُ
جَدُّ ، وَلَيْسَ إِلَى طَهَ لَهُ نَسَبُ
آلُ الرُّسُولِ ذُووُ خُلُقٍ ، ذُووُ آدَبٍ
وَالْغُرُّ فَيَصَلُّ لِاخْلُقُ ، وَلَا آدَبُ

وخالهُ الوغدُ أَمْسَى في الوريّ مثلاً
 على الحِيَانَةِ تَفْري قَلْبُهُ النُّوبُ
 فمَادَّهِيَ العُربَ مِنْ عَارٍ يَحِيقُ بِهِمْ
 إِلَّا وَكَانَ بِذَاكَ الْخَالِ وَيَنْتَحِبُ
 عَبْدُ إِلَالِهِ ، وَمَا عَبْدُ إِلَالِهِ سِوَى
 عَبْدٍ بِحُبِّ الْخَنَى خَفَاقُهُ يَحِبُّ
 وَرَاحَ نَوْرِي يَشُقُّ الْجَيْبَ مِنْ كَمَدٍ
 وَيَلْطُمُ الْخَدَّ مَغْتَظاً وَيَنْتَحِبُ
 غَدَاً يَطِيرُ لِلْجَحِيمِ فَلَا
 يَبْقَى مِنْ بَعْدِهِ جَرَبُ (١)
 وَيَلْحَقُ الْغُرُّ شَمْعُونُ وَمَالِكُهُ
 بِهِ ، وَيَرْحَلُ عَنْ لَبْنَانِ الشَّعْبُ (٢)
 فَالرَّأْسُ فِي الصِّلِّ إِنْ تَسَحَّطُهُ مُقْتَدِرًا
 فَلَنْ يُخِيفَ الْوَرَى فِي جُجْرِهِ الذَّنْبُ

حلب : ١٤ تموز ١٩٥٨

- (١) هو الملك ملك . . . الخائن .
 (٢) شمعون هو كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان الخائن والجاسوس
 لانكليزي المعروف : وشارل مالك هو وزير خارجية لبنان الأخرق .

الجمهورية العراقية

ضَيِّعْتُ مِنْ فَرْحِي الْعَظِيمِ صَوَائِي
لَمَّا سَمِعْتُ بِشُورَةِ الْأَحْبَابِ

وَخَلَعْتُ أَبْرَادَ الْوَقَارِ جَمِيعَهَا
وَفَقَدْتُ سَيْطَرَتِي عَلَى أَعْصَابِي

وَمَضَيْتُ أَقْفَزُ بَيْنَ صَحْبِي غِبْطَةً
وَكَأَنِّي فِي عُنفُوَانٍ شَبَابِي

وَلَثَمْتُ كُلَّ مُوَاطِنٍ قَابِلُهُ
وَحَمَلْتُ مَنْ صَادَفْتُ مِنْ أَصْحَابِي

وَهْتَفْتُ مِنْ أَغْوَارِ قَلْبِي مُنْشِداً
وَمُرَجِّباً بِالْجَحْفَلِ الْغَلَّابِ

سَحَقَ الطُّعَاةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي لَحْظَةٍ
مَغْمُوسَةً أَشْلَاؤُهُمْ بَتْرَابِ

حَسِبُوا الرِّجَابَ تَقِيَهُمْ أَبْرَاجُهُ
وَحُصُونُهُ مِنْ تَأْثِيرِنِ غِيْضَابِ

مَن قادهُ عبدُ السلام ، وصحبُهُ
 في ثورةِ كجبالنا الوثابِ (١)
 لأبدٍ أن تجني المني عزماته
 وتريجهُ من طُفْمَةِ الأنصابِ
 فالعُربُ إن تارُوا ، شهدتِ برائناً
 نَشِبَتْ بكلاً مُراوغٍ ، كذئابِ
 والأُسْدُ إن هَزَّ العرينَ زئيرُها
 خَلَّى الذئابُ لها مُتونَ الغابِ
 والنَّسرُ إن رَجَّ الفضاءَ صُراخُهُ
 لم يبقَ فوقَ الدَّوْحِ أيُّ غُرابِ

* * *

نَزَلَ العراقَ البغيُّ مَشْبُوبَ اللَّظَى
 فأصارَ جَنَّتَهُ جَحِيمَ عذابِ

(١) هو العقيد الركن عبد السلام عارف أول نائب رئيس وزارة في
 الجمهورية العراقية ، وهو الذي قاد الحملة المظفرة على الخائنين وأسس مع
 صحبه الجمهورية العراقية بموازرة لجيش والشعب .

أَحْصَى عَلَى أبنائِهِ أَنْفَاسَهُمْ
وَالشِّدْقُ مِنْهُ مُشْرَعُ الْأَنْيَابِ
مَنْ لَمْ يَضْمَمْ السِّجْنَ مِنْهُ حُطَامَهُ
كَانَ الضَّرِيحُ لَهُ أَحَبَّ قِرَابِ
بَشُّوا الْعَيُونَ ، وَأَرْهَفُوا آذَانَهُمْ
وَتَرَصَّدُوا الْأَفْوَاهَ خَلْفَ الْبَابِ
وَتَذَرَعُوا بِالظَّنِّ فِي أَحْكَامِهِمْ
مُتَشَبِّهِينَ بِأَوْهَنِ الْأَسْبَابِ
حَتَّى غَدَا الْقَطْرُ الشَّقِيقُ مُقَابِرًا
وَالْغَمْدُ لَا يُؤْوِي سِوَى الْقِرْضَابِ
وَوِزَارَةُ الْإِعْمَارِ لَمْ تَكُ تَبْتَنِي
إِلَّا السَّجُونَ لِصَفْوَةِ الْأَقْطَابِ
قَدْ أَخْطَأُوا فِي الْإِسْمِ ، فَهِيَ وَزَارَةٌ
— يَا وَيْهِمْ — قَدْ أُنْشِئَتْ لِخَرَابِ
نَهَبُوا الْبِلَادَ ، وَجَوَّعُوا أَبْنَاءَهَا
وَجَنَّوْا ثَرَاءَهُمْ مِنْ الْأَسْلَابِ

تَطْوِي الرِّعْيَةَ نُومًا فَوْق الثَّرَى
وَهُمْ عَلَى الدِّيْبَاجِ ، وَالْأَطْيَابِ
قَدْ أَوْرَدُوا الشَّعْبَ الْمَفْدَى آسِنًا
حِينَ ارْتَوَوْا مِنْ خَمْرَةٍ ، وَرُضَابِ
عَمِيَتْ عُيُونُهُمْ ، فَلَمْ تُبْصِرْ سِوَى
وَرَدٍ عَلَى خَدٍّ ، وَصَدْرِ كَعَابِ
حَسِبُوا رِيَّاحَ السَّعْدِ فِي بَغْدَادِنَا
تَبَقَّى مُوَاتِيَةً مَدَى الْأَحْقَابِ
فَتَهَيَّكُوا ، وَتَكَبَّرُوا ، وَتَجَبَّرُوا
وَسَعَوْا لِسَخِّ الشَّعْبِ بِالْإِرْهَابِ
فَإِذَا الْعِرَاقُ جَمِيعُهُ فِي وَجْهِهِمْ
نَارٌ تَأْجِجُ فِي صُدُورِ شَبَابِ
وَإِذَا الْفَتَى عَبْدُ السَّلَامِ ، وَرَهْطُهُ
إِعْصَارُ يَمٍّ هَائِجٍ ، صَحَّابِ
وَإِذَا الْأَلَى ظَلَمُوا الرِّعْيَةَ حِقْبَةً
جَثُّ ثُجْرٍ كَأَنَّهَا لِكِلَابِ

فَا نَدَكْ عَرْشٌ ، قَامَ فَوْقَ جَمَاجِمِ
لِلشَّعْبِ تَدْعُمُهُ يَدُ الْقَصَّابِ

وَحَلَا «الرَّحَابُ» مِنَ الْمَلِكِ ، وَخَالِهِ
عَبْدُ الْإِلَهِ الْفَاسِقِ ، النَّصَّابِ (١)

وَقَضَى أَجِيرُ الْإِنْكَلِيزِ ، وَعَيْنُهُمْ
نُورِي الْمَخْنُثِ ، رَائِدُ الْأَوْشَابِ (٢)

خَلَعَ الْعِذَارَ ، فَلَا حَيَاءَ يَرُدُّهُ
حَيًّا ، وَأَوْدَى وَهَوَطِيَّ حِجَابِ (٣)

هِيَهَاتَ رَبُّ الظُّلْمِ يَجْنِي مَا ابْتَغَى
فَالظُّلْمُ لَا يُبْقِي عَلَى الْأَرْبَابِ

(١) الرَّحَابُ : قصر الملك فيصل الثاني الذي بطش به شعبه ؛ وعبد
الاله هو خاله الخائن ، وولي عهد العراق ، وقد بطش به الشعب أيضاً في
١٤ تموز ١٩٤٨ .

(٢) هو نوري السعيد خادم الإنكليز ، وعدو العروبة اللدود .
(٣) تنكر نوري السعيد بشباب امرأة متحجبة ، بعدما أخفى شاربيه ،
ووضع المساحيق على وجهه كالنساء .

قَدْ سَجَلَ التَّارِيخُ عَنْهُمْ صَفْحَةً
سُودَاءَ لَمْ تُزَقَّمْ بِأَيِّ كِتَابٍ

فَمِدَادُهَا خِزْيٌ ، وَكُلُّ حُرُوفِهَا
مَخْشُوءَةٌ بِتَهْكُمٍ ، وَسَبَابٍ

هَبَطُوا الْجَحِيمَ ، فَقَالَ فَيَرُونَ لَهُمْ :
أَهْلًا بِكُمْ جُرْثُومَةَ الْإِجْدَابِ

لِي مِنْذُ دَهْرٍ فِي انْتِظَارِ قُدُومِكُمْ
وَقُدُومِ سَادَتِكُمْ مِنْ السُّلَابِ

أَيْنَ ... ؟ وَأَيْنَ شَمْعُونُ ، وَمَنْ
خَلَقْتُمْ لِلْغَرْبِ مِنْ أَذْنَابِ (١)

قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّ جَهَنَّمَ
سُتْقَابِلُ الْأَوْغَادِ بِالْإِثْرَابِ

(١) هو الخائن ، وعبد الانكليز ، وشمعون
هو رئيس جمهورية لبنان ، وجاسوس الاستعمار .

وَتَرَوْحُ تَشْوِيهِمْ عَلَى سَفُودِهَا
وَتَعَزَّزُ الْأَوْصَابَ بِالْأَوْصَابِ
مَا لِلطُّغَاةِ سِوَى عَذَابٍ أَفْعَمَتْ
أَكْوَابُهُ بِالسُّمِّ ، بَعْدَ الصَّابِ

* * *

فَجَرَ الْعِرَاقِ ! لَقَدْ طَلَعْتَ ، فَرَجِباً
بِالْفَجْرِ تَجْلُوهُ يَدُ الْأَنْجَابِ
أَحْيَا الْمَنَى أَنْ كَانَ أَشْبَالُ الْحِمَى
وَبُنَاةُ الْإِسْتِقْلَالِ مِنْ طَلَّابِي (١)
أُورِذْتُهُمْ قَلْبِي ، فَهَوَا عَزْمَةً
عَرَبِيَّةَ الْإِقْدَامِ ، وَالْإِلْهَابِ

(١) علّمت بين سنتي ١٩٢٧ و ١٩٣١ (٤ سنوات) في بغداد ، وكان
بعض وزراء الجمهورية العراقية من طلابي : كالدكتورين جابر العمر وعبد
الجبار جومرد ، والسيد صديق شنشل ومحمد حديد ، والسيد فائق
السامرائي وزير الجمهورية العراقية لدى الجمهورية العربية المتحدة ، والسيد
حسين جميل وزير الجمهورية العراقية لدى الهند .

قد كنتُ أسألُ في النَّوَائِبِ عَنْهُمْ
فَسَمِعْتُ مِنْ شَفَةِ الْأَثِيرِ جَوَابِي

فَإِذَا دَنَا أَجَلِي، رَضِيتُ لِأَنِّي
قَدْ نَلْتُ فِي نَصْرِ الْعِرَاقِ ثَوَابِي

حلب : ١٨ تموز ١٩٥٨

الذكرى العاشرة

لنكبة فلسطين

جَنِينَا مِنَ الصَّبْرِ الْمَدْمَى الْأَمَانِيَا
وَبَاتَتْ مَرَاثِي النَّادِبِينَ أَغَانِيَا
وَأَضَحَّتْ صَحَارَى الْيَأْسِ فِي الصُّدْرِ وَاحِدَةً
يَرِفُ عَلَيْنَا ظِلُّهَا الْيَوْمَ حَانِيَا
وَيَصْدَحُ فِي أَغْصَانِهَا بُلْبُلُ الْمَنَى
يُشَنِّفُ آذَانَ الْخَمَائِلِ شَادِيَا
وَوَلَّتْ دُجَى الْبُأْسَاءِ مِنْ غَيْرِ رَجْعَةٍ
وَأَقْبَلَ فَجَرُ الْقَالِ جَذْلَانِ ضَاخِيَا
وُلِّمَتْ الْآمَالُ بَعْدَ تَشْتُّتٍ
وَأَمْسَى بِهَا غِيلُ الْعُرُوبَةِ حَالِيَا
وَعَادَ شَرِيدُ الْأَمْنِ لِلنَفْسِ بَعْدَمَا
تَسْلَلُ مِنْهَا كَاسِفَ الْبَالِ بَاكِ يَا

فكم راود الأذهان في الحلم عودنا
إلى وطنٍ أمسى يضمُّ الأعاديا
فلم نفتح الأجنان إلا قريحة
على أملٍ خلى المربع ذوايا
وهانحن أصبحنا نرى المجد جهرة
يخفُّ إلينا اليوم، يغزو المغانيا
ويضفر إكليل المنى لروشنا
فيشرع فيه الغار، يزوي المعاليا
وتبدو فلسطين عروساً يزفها
إلينا جمال واري العزم، غازيا
يحيش له في العالمين زمام
يدك قلاع الغاصب الوغد طاغيا
ويثار للشعب الأبي مشرداً
بنوه، فلا يبغي إصهيون باقيا
ويمحق جند المعتدين بمفرك
تري فيه إسرائيل منّا الدواھيا

يُدير رَحَى الهِجَاءِ فَاغِرَةَ اللَّهِ
 فَيَطْحَنُ فِيهَا عَسْكَرَ الْخُصْمِ بِأَغْيَا
 وَمَنْ أَضْرَمَ الْحَرْبَ الضُّرُوسَ، وَرُوحَهُ
 تَعِزُّ عَلَيْهِ، يَخْصِدُ الْحِزْبَ دَامِيَا
 كَفَى الْعُزْبَ فَخْرًا أَنْ غَدَا عَبْدُ نَاصِرٍ
 يُشِيبُ اسْمُهُ فِي تَلٍّ أَيْبَ النَّوَاصِيَا

* * *

سَلَخْنَا مِنَ الْأَعْوَامِ فِي الْبُؤْسِ عَشْرَةً
 نُنَاجِي بِهَا الرَّبْعَ الَّذِي بَاتَ خَالِيَا
 نُنَاجِي فَلَسْطِينَ الَّتِي مِنْ جِنَانِهَا
 خَرَجْنَا لِلزَّوِيِّ لِلزَّمَانِ الْمَآسِيَا
 كَتَبْنَا بِدَمْعِ الْقَلْبِ تَارِيخَ نَكْبَةٍ
 دَهْنًا، فَوَافَى الْخُطْبُ أَزْبَدَ عَاتِيَا
 رَقْنَا أَسَانَا آهَةً بَعْدَ آهَةٍ
 فَجَاءَ بِهَا سِفْرُ الْمَصَائِبِ قَانِيَا

إِذَا الْوَحْيُ وَافَانَا يَجْرُ ذُيُولُهُ
 غَصَصْنَا ، فَلَمْ نَكْتِبْهُ إِلَّا مَرَاثِيَا
 فِي كُلِّ بَيْتٍ أَدْمَعُ مُهْرَاقَةً
 نَخْطُ بِهَا فَوْقَ الطُّرُوسِ الْقَوَافِيَا
 تَفَاعِيلُهَا آلَامُنَا ، وَعَرُوضُهَا
 أَنْزِنُ يَتِيمٍ رَاوِدَ النَّوْمِ طَاوِيَا
 وَفِي كُلِّ كُوخٍ حَسْرَةٌ ، وَتَنَهُدُ
 وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْبَاحُ إِلَّا النَّوَاعِيَا
 وَإِنْ لَمْ نَجِدْ كُوخًا ، وَلَمْ نَلْقَ خِيَمَةً
 نَضُمُّ حُطَامًا لِلْمَشْرِدِ ، بِأَلْيَا
 زَحَفْنَا إِلَى جُوفِ الْكَهْفِ تُجِيرُنَا
 وَحُوشٌ ، وَإِنْ كَانَتْ تُسَمَّى ضَوَارِيَا
 تُقْنِي لَنَا فِيهَا الْخَفَافِيشُ فِي الدَّجَى
 وَيُطْرَبُنَا الذِّبُّ الْمُعْسِسُ عَاوِيَا
 وَإِنْ لَفَظْتُنَا فِي الْجِبَالِ مَغَاوِرُ
 تَحِذُنَا لَنَا الْبِدَاءُ بَيْتًا وَنَادِيَا

نَسَامِرُ - إِنْ حَلَّ الظَّلَامُ - نُجُومَهَا
وَنُحْيِي بِذِكْرِي مَادَهَا نَا اللَّيَالِيَا
وَإِنْ أَخَذَتْ نَا مَوْنَهَا سَنَةُ الْكَرَى
رَضِينَا الثَّرَى مَهْدًا ، وَإِنْ كَانَ نَابِيَا
وَأَذْرُعُنَا تَحْتَ الرُّؤُوسِ وَسَائِدُ
لَنَا ، وَالذِّئَارُ الْأَفْقُ وَسَنَانِ سَاجِيَا
وَلَيْسَ سِوَى الْكَابُوسِ حُلْمٌ مُرَوِّعٌ
فَوَاجِعُهُ تُذَكِّرِي الْأَسَى الْجَلْمَ عَادِيَا
نَرَى فِيهِ وَهُوَ يَبِيعُنَا
إِصْهِيُونِ بِالْذُّلَارِ كَالْبَحْرِ طَامِيَا (١)
نُذَبِّحُ كَالْأَغْنَامِ لَيْلًا بِقَبِيَّةٍ
وَفِي دِيرِ يَاسِينَ نَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا
فَيَلْطُمُ وَغْدُ خَدَّهُ
وَيَمْرِي صَفِيقُ الْوَجْهِ مِنْهُ الْمَآقِيَا

(١) هو الذي كان المجرم الأكبر في
نكبة فلسطين .

لَقَدْ ظَنَّ أَنَا غَافِلُونَ عَنِ الْأَذَى
 وَلَمْ يَرَجَمْرَ الْحَقْدِ فِي الصَّدْرِ وَارِيَا
 فَوَافِقُهُ رَصَاصَةٌ بِاسِلٍ
 نَمَتُهُ فَلَسْطِينٌ ، فَأَزْدَى الْمَرَاثِيَا (١)
 وَزُحْزِحَ فَارُوقٌ عَنِ الْعَرْشِ مُرْغَمًا
 وَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا خَنِيٍّ وَخَاذِيَا (٢)
 سَنَبُهُ نُورِي الشَّقِيٍّ ، وَرَهْطُهُ
 وَعَبَدَ الْإِلَهِ الْأَمْرِيَّ الْمَدَاجِيَا (٣)
 وَنَقَضِي عَلَى الْمَسْخِ الْمَلُوثِ لَهُ
 ، لِيَلْقَى فِي الْجَحِيمِ (٤)

(١) هو الشهيد الذي صرع في

(٢) هو الفاسق فاروق آخر ملوك مصر .

(٣) نوري السعيد خادم الاستعمار في العراق ، وشريكه المجرم
 عبد الإله ولي عهد العراق .

(٤) هو بن الخائن ، و هو
 خائن

وشمعونَ لبنانَ المخنثَ ، والذي

يُقالُ له سامي ، وما كانَ ساميا (١)
لئنَ جندُ لَوا المَني ، فإني عليهمُ

منيعٌ ، وأنى يَصْرَعُ البومُ بازيا (٢)
..... المِيتَ اليومَ شعبُهُ

مِنَ الجُوعِ يَقبِضي في الفدافِدِ عاريا (٣)
.... يَغْزُو الصِّحَافَ نهارَهُ

وفي ليلِهِ يَغْزُو الحِسانَ الغوانيا
له كُلُّ يومٍ زوجةٌ فيه لا تَرى

سوى نَهِمٍ لِلغَيدِ أَصبحَ صاديا
حفيدَتُهُ الشمطاءُ في سِنِّ أُمِّها

ولم تَرَ غَيرَ المالِ فيه مُواسيا

(١) هما كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان ، وسامي الصلح رئيس
وزارائه اللذان سببا مع أذناهما نكبة لبنان الفادحة عام ١٩٥٨ .
(٢) هو الصحفي الشهيد نسيب المتني الذي اغتالته عصابة كميل
شمعون .

(٣) هو بن الذي تأمر : فأخفق .

أَرَادَ الْقَائِدَ الْفَذَّ نَاصِرَ
فَكَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ فِي الشَّامِ وَاقِيَا
أَيَقْدِرُ عُصْفُورٌ عَلَى سَلْبِ قَشْعَمٍ
قَوَادِمَ يَزْنُونَهَا الْبَدْرُ جَاثِيَا (١)
وَلَمْ تَسْتَطِعْ فِي بُوزٍ سَعِيدٍ فَرْنَسَةً
وَإِنْ كَلِمَتَا أَنْ تَسْلُبَاهُ الْخَوَافِيَا (٢)
فَمَا دَامَ عَبْدُ النَّاصِرِ الْيَوْمَ حَاوِيَا
فَهِيَهَاتَ فِي الْأَجْحَادِ نَحْشَى الْأَفَاعِيَا

* * *

صَبَرْنَا عَلَى الْجُلَى ، فَنِلْنَا بِصَبْرِنَا
أَمَانِيَّ ذَلَّلْنَا إِلَيْهَا الرُّوَاسِيَا
وَرُحْنَا بِجُمْهُورِيَّةِ الْعُرْبِ نَبْتِنِي
مِنَ الْمَجْدِ صَرْحًا طَاوَلَ النُّجْمَ عَالِيَا

-
- (١) القوادِم : كبار الريش في الجناح .
(٢) الخوافي : صغار الريش وهي تحت القوادِم .

وَنُنْشِئُ مَعَ صَنْعَاءَ أَعْظَمَ وَحْدَةً
بِهَا الْأَمَلُ الْمَشْهُودُ أَصْبَحَ دَانِيَا
نَمَتْهَا الْعُلَى ، وَالنَّبِيلُ صِرْفًا ، وَرَوْضُهَا
أَزَاهِرُهُ فَاحَتْ هَوًى وَتَأَخِيَا
لَهَا جَحْفَلٌ يَعْغُو لَهُ الدَّهْرُ خَاشِعًا
وَيَهْرُبُ مِنْهُ عَسْكَرُ الْغَرْبِ خَاشِيَا
يَشْقُ لَهُ دَرْبَ الْمَفَاخِرِ أَسْمَرَ
إِذَا جَاءَهُ دَالِاسُ لِلْحَرْبِ صَالِيَا (١)
فَسُمِرُ الْقَنَا مَارَيْنَ الْحَرْبَ غَيْرُهَا
وَمَا عُرِفَ الْبِتَّارُ إِلَّا يَمَانِيَا
وَمَا قَهَرَ الْعَادِي سِوَى جَيْشِ مِصْرِنَا
وَمَا كَانَ غَيْلُ الْغَرْبِ إِلَّا شَامِيَا

* * *

(١) الأسمر : الرئيس جمال عبد الناصر العظيم . ودالاس : هو وزير خارجية الولايات المتحدة ، وعدو العروبة ، ونصير إسرائيل .

فَلِسْطِينُ ! يَا أَغْلَى أَمَانِي فِي الدُّنْيَا
 أَطْلِي عَلَى قَلْبِي ، وَرَفَقاً بِجَالِيَا
 بَرَانِي إِلَيْكَ الشَّوْقُ ، وَاجْتِاحَ مَهْجِي
 وَإِنْ كَانَ لِي الْقَطْرُ الشِّمَالِيُ ^(١) آسِيَا
 فَضَمَّتِ الشَّهْبَاءُ جُرْحَ ابْنِ أَضْلَعِي
 وَأَبْصَرْتُ فِيهَا الدُّبْلَ لِلرُّوحِ هَادِيَا
 غَدَا أَهْلُهَا أَهْلِي ، وَأَحْبَابِي الْأَلَى
 لَبِسْتُ بِهِمْ ثَوْبَ الْهَنَاءِ ضَافِيَا
 قَدَوْنِي - وَهُمْ كَالزَّهْرِ - بِالْمَهْجِ الَّتِي
 غَدَوْتُ لَهَا بِالرُّوحِ وَالشَّعْرِ فَادِيَا
 مَحَضَّتُهُمْ حَبِي الصِّمِيمِ ، وَلَمْ أَكُنْ
 لِعَهْدِكَ يَوْمًا يَا فَلِسْطِينُ نَاسِيَا
 إِذَا قُلْتُ فِي نَجْوَاكَ : يَا أَبْنِي ! تَلَقَّيْتُ
 إِلَيْكَ دُمُوعِي كَيْ تُجِيبَ الْمُنَادِيَا
 وَإِنْ رَدَدْتُ شِعْرِي عِنَادُ رَوْضَةٍ
 بِيَا فَا ، هَفَا قَلْبِي إِلَى الرُّوضِ رَانِيَا

(١) القطر الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة هو سورية .

وَإِنْ سَأَلْتُ فِي الْقُدْسِ عَنِّي دُرُوبَهَا
 وَخَضِرُ رَوَايِيهَا ، أَجَبْتُ الرِّوَايَا
 بِشِعْرِ تَلَطَّى الشَّوْقِ فِي كَلِمَاتِهِ
 وَأَضْحَى لَهُ الْفَجْرُ الْمَضْرَجُ رَاوِيَا
 فَجُودِي عَلَى الْمَضْنَى فَلَسْطِينَ لَحْظَةً
 بَوَصْلٍ ، فَإِنَّ الشَّوْقَ شَتَّتَ بِأَلْيَا
 فَكُلُّ أَلْمَنِ أَنْ أَلَّمَ التُّرْبَ طَاهِرًا
 وَأَرْتَعَ فِي مَغْنَاكِ نَجْدًا ، وَوَادِيَا
 وَأَبْصَرَ إِسْرَائِيلَ زَالَتْ مِنَ الدُّنْيَا
 وَأَضْحَى لَهَا جَيْشُ الْعُرُوبَةِ مَا حَيَا
 لَا نَزَلَ بَعْدَ النَّصْرِ رَمْسِي بِأَسْمَا
 وَأَتْرَكَ أَهْلِي ، وَالْأَحِبَّةَ رَاضِيَا

حلب : ١٥ أيار ١٩٥٨

وَجِي الْعِيد

لِلْأَمَانِي فِي الْعُرُوقِ دَيْبُ
وَصَبَاحُ الْأَجَادِ مِنَّا قَرِيبُ
عَجَمَتْنَا الْأَيَّامُ حِينًا ، فَأَلْقَتْ
أَنَّا لَا تَنَالُ مِنَّا الْخُطُوبُ
قَدْ دَعَوْنَا الزَّمَانَ حِينًا فَلَبَّى
وَالرَّزَايَا الْمَدَوِّيَّاتُ ضُرُوبُ
جَاءَنَا بِالْمَنَى ، وَقَالَ رِدْوَهَا
مَا لِيُورِدِ الْمَنَى لَدَيْكُمْ نُضُوبُ
فَنَقَعْنَا بِهَا الْغَلِيلَ ، وَلَمَّا
أَقْبَلَ الْعِيدُ ، وَالْهَنَاءُ خَصِيبُ
هَدَّهَدْتْنَا النُّعْمَى عَلَى رَاحَتِهَا
وَسَرَى فِي نَفُوسِنَا التَّطْرِيبُ
وَشَجَّتْنَا مِنَ الرِّيَاضِ لُحُونُ
أَوْقَعْتَهَا عَلَى الْغُصُونِ الْجَنُوبُ

وَالْهَزَارَاتُ شَدَّوْهَا أَتَسَكَّرَ الْكَوْنُ
 نَ ، فَمَا فِيهِ نَارِحٌ أَوْ كَثِيبٌ
 وَشُمُوسُ الْأَمَالِ سَالَتْ شُعَاعاً
 كُلُّ صَدْرٍ وَافَاهُ مِنْهُ نَصِيبٌ
 مَا عَجِيبٌ أَنْ يَصْحَوْ السَّفَدُ ، لَكِنْ
 أَنْ يَطُولَ الْكَرَى عَلَيْهِ عَجِيبٌ
 لَاحَ فِي الْأُفُقِ نَجْمَةٌ ، فَاغْنَمُوا السَّعَةَ
 دَ ، وَلَا تَتْرُكُوهُ عَنْكُمْ يَغِيبُ
 إِنَّ مَعْنَى الشُّرُوقِ عِزٌّ ، وَمَجْدٌ
 وَإِبَاءٌ بِهِ تَفُوزُ الشُّعُوبُ
 كُلُّنَا الْيَوْمَ « خَالِدٌ » فَاطْمَئِنُّوا
 مَا الشَّمْسُ الْفَخَارِ عَنَّا غُرُوبُ

* * *

أَيُّهَا الْعِيدُ ! هَذِهِ وَحْدَةُ الْعُرَى
 بَ أَطَلَّتْ ، وَأَبْرَزَتْهَا الْغُيُوبُ

حَلَقْتُ فِي الْفَضَاءِ نَسْرًا ، فَيَا قَوْمَ
 مِ اقْنِصُوه فَرُبَّمَا لَا يُؤُوبُ
 وَانصِبُوا مِنْ قُؤَاكُمُ ، وَهُوَ أَكْمُ
 شَرِّكَاءَ مِنْهُ لَا يُتَاحُ الْهُرُوبُ
 إِنْ تَضِقَّ بِالْصَّعَابِ مِنْكُمْ صُدُورُ
 فَلْيَدْهَرِ الدَّأُوبُ صَدْرُ رَحِيبُ
 لَا تَخَافُوا مِنْ خَبِيَّةٍ تَتَرَاءَى
 بَعْدَ جَهْدٍ ، إِنْ تَصِيرُوا لَا تَخِيبُوا
 وَاطْرُدُوا الْيَأْسَ إِنْ دَهَى ، فَالَّذِي لَا
 يُخْطِئُ الْيَوْمَ ، فِي غَدٍ لَا يُصِيبُ
 مَا نَجَا قَطُّ مَنْ أَرَادَ نُهوضًا
 مِنْ عِشَارٍ ، مَا شَانَهُ تَثْرِيبُ
 تَرَبُّضُ الْأَسَدِ قَبْلَ أَنْ تَشِبَّ الْأُنْثَى
 دُ ، وَيَأْتِي بِمُتَغَاها الْوُثُوبُ
 رَبِّ أَمْرِ مِنْهُ بِكَيْشُمْ ، وَلَكِنْ
 آيَةُ الْعَيْشِ فِي الْوَلِيدِ النَّحِيبِ

عندما يَسْتَهْلُ تَنْتَشِرُ البُشَى
رَى ، وَتَجْلُو عَنِ الصُّدُورِ الْكُرُوبُ (١)

شَبَحَ اليَأْسَ ! لَنْ تَعُودَ إِلَيْنَا
إِنَّ مَرَعَاكَ فِي النُّفُوسِ جَدِيبُ

* * *

يَا بَنِي قَوْمِي الْأَبَاةَ ! قَدِيمًا
سُدُّتُمْ الْأَرْضَ ، وَالزَّمَانَ عَصِيبُ

إِنَّ عَيْنَ التَّارِيخِ تَرْنُو إِلَيْكُمْ
لَيْسَ فَيْكُمْ إِلَّا السَّرِيُّ النَّجِيبُ

لَا تَخَافُوا مِنْ صَوْلَةِ الدَّهْرِ يَوْمًا
مَنْ يَخَفُ مِنْهُ ، نَابَهُ مَا يُشِيبُ

حَمَلُ دَهْرُكُمْ إِذَا مَا أَرَدْتُمْ
وَهُوَ ، إِنْ شِئْتُمْوهُ ، يَا عَرَبُ أَذِيبُ

* * *

(١) استهلَّ الطفلُ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة ، وهذا دليل على أنه ولد حيًّا .

أَيُّهَا الْعَاشِقُونَ ! كُلُّ بَلِيلٍ
إِنْ تَغْنَى ، وَرَاقَهُ التَّشْيِبُ
فَأَنَا مَوْطِنِي الْأَغْرُ حَبِيبِي
وَبِهِ وَحْدَهُ يَطِيبُ النَّسِيبُ
مَا تَجَنَّى عَلَيَّ يَوْمًا ، وَلَا صَدَّ (م)
وَلَا مِنْهُ لِي بَدَا مَا يُرِيبُ
ظَلَّلْتَنِي سَمَاوُهُ ، وَسَقَانِي
بَعْدَمَا أَجَّ فِي حَشَايَ اللَّهْيَبُ
وَشَفَانِي فِيهِ نَسِيمٌ عَلِيلُ
مَالِقَلْبِي الدَّامِي سَوَاهُ طَبِيبُ
وَحَدَانِي شَطَرَ الْمَنَى بَعْدَ أَنْ كَا
دَ فَوَادِي مِمَّا دَهَانِي يَذُوبُ
وَعَدَا تَرْبُهُ يُعَانِقُ جَسْمِي
مَثَلَمَا عَانَقَ الْحَبِيبَ الْحَبِيبُ
وَالْخَلَايَا جَمِيعُهَا تَتَلَاشَى
فِي ثَرَى كُلُّهُ أَرِيحُ ، وَطِيبُ

ثُمَّ تَغْدُو زَهْرًا يَضُوعُ شَدَاهُ
 فِي الرَّوَّابِي ، فَتُصْطَفِيهِ الْقُلُوبُ
 فَاجْعَلُوا الْمَوْطِنَ الْمَفْدَى هَوَاكُمْ
 يَجُلُ عَنْ صَفْحَةِ الْحَيَا الْقُطُوبُ
 إِسْأَلُوهُ مَا شِئْتُمْ مِنْ فِخَّارٍ
 تُحْرِزُوهُ ، فَهُوَ السَّمِيعُ الْمُجِيبُ

* * *

أَيُّهَا الْعِيدُ ! أَنْتَ دَمَرُ الْأَمَانِي
 بِكَ يَجْلُو التَّاهِيلُ ، وَالتَّحْرِيْبُ

طُفْ عَلَى الْعُرْبِ كُلِّهِمْ بِكُؤُوسٍ
 مِلْؤُهَا الْأُنْسُ ، مَا لَهْنُ ضَرِيبُ

سَوْفَ يَأْتِي الْيَوْمُ الَّذِي ، نَتَمَنَّى
 أَنْ نَرَاهُ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبُ

يافا : ١ شوال ١٣٦٣ هـ

١٩ ايلول ١٩٤٤ م

وحي المولى

أَحَازِرُ أَنْ لَا أَغْسِ الْيَوْمَ بِالْدَّمِ
يِرَاعِي ، وَأَنْ لَا أَنْفُثَ النَّارَ مِنْ فَمِي

أَكَاذُ أَرَى فِي رِيشتي شَرَّ اللَّطَى
إِذَا الْكَهْرَبَا نَسَابَتْ إِلَى جَوْفِ مِرْقَمِي

أَأُفْصِحُ عَمَائِي ، وَحَوْلِي أَرَأَقُمُ
إِذَا أَرَقُمُ وَلِي ، بَدَأَ أَلْفُ أَرَقُمِ

عُيُونُ عَلَيْنَا لِلْخُصُومِ ، فَوَجْهَهُمْ
مُنِيرٌ ، وَلَكِنْ قَلْبُهُمْ جِدُّ مُظْلِمِ

حَتَمَهُمْ قِلَاعٌ مِنْ بَرَاكِينِ ثَارِنَا
وَمَا ذُخْرُهَا إِلَّا رَصَاصَاتُ دِمْدِمِ

إِلَى كَمِ نُعَانِي الظُّلْمِ يَارَبِّ فَادْحَا
وَكَا بُوسَ حُكْمِ الْغَاشِمِينَ إِلَى كَمِ

سَأَجْهَدُ فِي كَبْتِ الضَّغِينَةِ وَالْأَسَى
لَعَلَّ الْهُدَى لِلصَّابِرِ الْمَتَّبِعِ
وَأَرْقُبُ فَجَرَ السَّعْدِ يَقْظَانَ فِي الدُّجَى
كَمَا رَقَبَ الْوَطْفَاءُ فِي الْمَهْمَةِ الظَّمَى (١)
وَمَا الْفَوْزُ إِلَّا لِلْأَلَى سَهَرُوا لَهُ
وَلَيْسَ لِقَوْمٍ عَنْ أَذَى الدَّهْرِ نَوْمٌ
وَلَا ذَنْبَ لِلْأَقْدَارِ إِنْ أَفْرَخَ الْوَنَى
وَرَوَّعَ نَفْسَ الْمُحْجَمِ الْمَتَّبِعِ
فَإِنَّ هُطُولَ الْغَيْثِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
إِذَا رُحْتَ تُلْقِي الْحَبَّ فِي غَيْرِ مَوْسِمٍ
هُوَ الْعَقْلُ يَهْدِي حِينَ تَنْتَابُ حَيْرَةٌ
سَوَاءً سَبِيلٌ، فَارْكَبِ الْعِزَّمَ وَاقْحَمِ

(١) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماؤها .

وَلَا تَكُ إِلَّا النَّسْرَ يَقْتَعِدُ السَّهْمَا
 وَلَا تَكُ فِي مَثْنِ الْفَلَا غَيْرَ ضَيْغَمٍ
 وَلَا تَرْضَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُجَلِّيًا
 يُغَيِّرُ فِي وَجْهِ الْفَتَى الْأَزْوَاعَ الْكَمِي
 وَبَيْتَ الْقَصِيدِ الْفَذَّ فِي الشَّعْرِ كُلِّهِ
 وَوِاسِطَةَ الْعِقْدِ النَّفِيسِ الْمُنْظَمِ
 وَدُرَّةَ تَاجِ الْمَجْدِ تَخْتَلِبُ النِّهَى
 وَيُوشِكُ أَنْ يَحْظَى بِلَا لَهَا الْعَمِي
 وَقِبْلَةَ آمَالِ الْوَرَى إِنْ دَهَأَهُمْ
 مِنْ الدَّهْرِ مَا أَوْدَى بَعَادٍ وَجُزْأَهُمْ
 وَلَسْتُ أَرَى أَنَّ الْأُمُورَ خِيَارُهَا
 أَوْ أَسْطَرُهَا كَالشَّاعِرِ الْمُتَقَدِّمِ
 إِذَنْ كَانَ رَبُّ الْحُسْنِ فِي النَّاسِ أَعْوَدًا
 وَأَفْصَحُهُمْ مِنْ مِثْرِ نِصْفِ أَنْبَكَمِ

فَإِذَا حَيَاةٌ يَرْفَعُ الْعِزُّ طَرَفَهُ
إِلَيْهَا ، وَإِذَا ضِجَّةُ ابْنِ مُكَدَّمٍ (١)

وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ كَانَ دَلِيلَنَا
إِلَى الْمَجْدِ ، وَالضَّرَاءُ ظَمَأَى إِلَى الدَّمِ

فَلَمْ يَتَزَحَّزَخْ مَرَّةً قَيْدَ شَعْرَةٍ
عَنِ الْمَبْدَأِ الْأَسْمَى ، وَلَمْ يَتَكَبَّرْ

وَصَنَّمْ - وَالْخَصْمُ الْأَلَدُّ مُهَاجِمٌ -

عَلَى نَيْلٍ مَا يَبْغِي بِنُصْحٍ وَمُخَذَّمٍ

(١) هو ربيعة بن مكدم من بني كنانة، وأحد فرسان مضر العدودين في الجاهلية . ومن أشهر أخباره حمايته الظعن بعد مقتله ، ولا يعرف قتيل حمى الظعن غيره ، وذلك أنه عندما خرج في ظعن كنانة ، لقيهم نبيشة ابن حبيب السلمي غازياً ، فتقدم ربيعة فقاتل نبيشة ومن معه طويلاً ، فأصابه سهم ، فعاد إلى الظعن وأمه فيه . فشدت على جرحه عصابة ، فكرر راجعاً يقاتل ودمه ينزف ، فهابه القوم ، ثم اختار عقبة وأتكأ على رمحده وهو على متن فرسه وقضى نحبه . فلم يتقدم أحد خوفاً منه ، ثم رموا فرسه بسهم فقمضت وسقط منها فعرفوا أنه ميت ، ولكن بعد نجاة الظعن .

فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ، تَقَبَّلَ نَصَحَهُ
وَذُو الْجَهْلِ أَمْسَى مِنْ وَقُودِ جَهَنَّمَ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَزْوَةٌ بَعْدَ غَزْوَةٍ
بَلَا الشِّرْكَ فِيهَا الْوَيْلَ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
وَرُوعَ حَتَّى شَتَّتَ الذُّعْرُ شَمْلَهُ
وَبَاءَ بَعْزَمٍ فِي الْخُطُوبِ مُثَلَّمٍ
فَأَذَعَّتِ الْأَحْزَابُ، وَانْفَضَّ كَيْدُهَا
وَدَانَتْ جَمِيعاً لِلنَّبِيِّ الْمَعْظَمِ
وَمُذْ آمَنْتَ بِالْوَحْدَةِ الْعَرَبُ هَدِمَتْ
مَمَالِكُ، أَوَلَا الْعَرَبُ لَمْ تَتَهَدَّمِ
فَزَايِلَ كِسْرَى عَرْشُهُ مِثْلَ قَيْصَرٍ
وَنَكَّسَ عَالِي رَأْسِهِ كُلُّ أَعْجَمِي

* * *

إِذَا نَحْنُ آمَنَّا بِوَحْدَةِ أُمَّةٍ
بِهَا كَانَ قَلْبُ الْمَجْدِ جَدُّ مَتَمِّمِ

وَدِنَّا لِمَا تَبْغِي الْكَرَامَةُ، هَرَوَلَتْ
 الينا الأمانى كالرَّحِيقِ الْمَخْتَمِ (١)
 إِذَا فَضَّهَا مِنَّا كَرِيمٌ تَضَوَّعَتْ
 كَنْفَحِ عَيْرِ الْيَاسَمِينِ الْمُنَمِّمِ

* * *

تَأَسَّوْا بِخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ
 وَلَا تَحْفَلُوا الْأَرْزَاءِ فَاغِرَةَ الْقَهْمِ
 وَلَا تَهِنُوا يَوْمًا، وَلَا تَحْزُنُوا لِمَا
 يَنْوِبُ، فَقَدْ تُبْلَى الشُّعُوبُ بِأَعْظَمِ
 وَإِنَّكُمْ الْأَعْلَوْنَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ
 بِهِ الدَّهْرُ يَغْزُوكُمْ بِجَيْشٍ عَرْمَرَمِ (٢)

(١) تأسوا : اقتدوا .

(٢) مقتبسة من الآية الكريمة : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
 إن كنتم مؤمنين » (آل عمران ١٣٩) . وقد نزلت هذه الآية الكريمة .
 بعد وقعة أحد التي خسر فيها المسلمون ، ويزكروهم بها الله عز وجل
 بانتصارهم في وقعة بدر .

فَمَا عَادَتِ الْأَحْزَابُ تَقْصِمْ ظَهْرَنَا
وَتَشْفَلُنَا بِالتَّافِهِ الْمُتَوَّهْمِ

وَمَا نَحْنُ إِلَّا حِزْبُ أُمَّةٍ يَعْرُبُ

وَلَسْنَا إِلَى حِزْبٍ سِوَى الْعُرْبِ نَنْتَمِي

فَمَا الْعُرْبُ إِلَّا قِبْلَةُ الْعِلْمِ وَالْحِجَى
وَمَا مِنْهُمْ شَعْبٌ عَرِيقٌ بِأَكْرَمِ

إِذَا أَنَا لَمْ أُوقِفْ عَلَى الْعُرْبِ مَهْجَتِي
فَلَا شَهِدَتْ عَيْنِي هِلَالَ مُحَرَّمِ

وَلَا سَارَ لِي ذِكْرٌ كَأَنْفَاسِ رَوْضَةٍ
بِمَثَلِ شَذَاهَا الْأَفْقُ لَمْ يَتَنَسَّمْ (١)

وَلَا كَفَّتِ الْأَلَامُ عَنْ طَرَقِ مَضْجَعِي
وَأَبَقَتْ فَوَادِي دَامِيًا لَمْ يُمَرِّهِمْ

وَلَا كَحَلَّتْ طَرْفِي مَنَاظِرُ مَوْطِنِي
وَلَا فُزْتُ فِيهِ بِالضَّرِيحِ الْمُهَنْدَمِ

(١) تنسم بالطيب . أرج .

فأنا لولا قومي الغُرُّ في الدُّنْيَا

سوى شاعرٍ ، يحيا بقلبٍ مُحَطَّمٍ

ولكنني بالغربِ أَجْمَلُ فَيْلَقًا

من العزمِ في صدري به الدهرُ يَحْتَمِي

يُجَدِّدُ لي شَرخَ الشبابِ هوأهمُّ

وما غيرَ قومي الصِّيدِ يَعْرِفُ مُعْجَمِي

فلا تَعْجَبُوا مِن بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً

إذا لم يودَّ غني شبابي ، وأَهْرَمَ

لئن نالني قومي بأْسُهُمْ نَقَدِهِمْ

كشفتُ لهم صدري ، وهشمتُ أَسْهُمِي

وإن عابَنِي غِبُّ ارتحالي حاسدُ

إلى الرُّمَسِ نادتُ : رَبِّي أَرْحَمُهُ ، أَعْظَمِي

فلمستُ سوى إِيْلا خِلاصٍ وإِلْهَمٍ رُكْبَا

وقلبٍ وفي بَيْنِ قومي مُقَسَّمٍ

ولا خَيْرَ في الدُّنْيَا ، إذا خِيَمَ الأَسَى

علينا فلم نَمْرَحْ ولم نَتَنَعَّمْ

ولا شيء في الدنيا يعزُّ مناله

إذا رُمته يوماً بعزمٍ مُصَيِّمٍ

فَدَعِ يَا أَخِي مِيلَادَ أَحَدٍ مَبْدَأَ

مِيلَادِ بَشَرٍ طَيِّ نَفْسِكَ تَغْنَمِ

ولست أرى للشَّهْدِ في الفَمِ لَذَّةَ

إذا كنتُ لم أَسْرِقْ بَصَابٍ، وَعَلَقَمِ

* * *

أَلَا إِنَّ صُبْحَ الْمَجْدِ يَاقُومُ أَشْرَقَتْ

أَسَارِيرُهُ سَفَدًا ، وَلَمْ يَتَلَمَّ

فَقُولُوا لِلَّيْلِ النَّحْسِ وَهُوَ مُشَرَّدٌ

« إِلَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أُمَّ قَشَعَمِ »

يافا : ١٢ ربيع الأول ١٣٦٤ هـ

٢٥ شباط ١٩٤٥ م

عَصَبَةُ الْحَقِّ

أقامت الأندية العربية في يافا في ٩ حزيران ١٩٤٥، حفلة تذكيرية لأعضاء وفدي الدعاية العربية في واشنطن ولندن، أُلقيت فيها القصيدة الآتية :

يا عُصْبَةَ الْحَقِّ مِنْ أَشْبالِ عَدَنانِ
جزاكمُ اللهُ إِحساناً بِإِحسانِ
نَهَضْتُمْ لِتُذودُوا الشرَّ عَنْ وَطَنِ
بَلا ضراوةَ دهرٍ ظالمٍ ، جَانِ
طَيَرُوا الى الغربِ آمالاً مَجْنَحَةً
وَقُودُها حُبُّ أَجْدادٍ ، وَأوطانِ
دَليلُها العَقْلُ ، والشُّورى مُحرِّكُها
وعزُّمُها عزمُ قَحطانٍ ، وغسانِ
لها دَوِيُّ إِذا ما جَلَجَلَتْ غَضَباً
وَفَنَدَتْ كُلَّ تزييفٍ ، وبُهتانِ
ويعبَقُ المِسْكُ مِنْ أُرْدانِها أَرْجاً
إِنْ أَدْرَكَتْ سُؤْلُها في كُلِّ مَيدانِ

* * *

لَا تَسْتَهِينُوا بَمَا يَقْوَىٰ خُصُومُكُمْ
 عَلَيْهِ بِالْمَالِ عَالِي الْقَدْرِ ، وَالشَّانِ
 يَمُوتُونَ الدَّعَاوَىٰ عَنْ مَزَامِعِهِمْ
 تَمْوِيَةً مَّقْتَدِرٍ فِي الزَّيْفِ ، شَيْطَانِ
 الْقَوَاعِصِ الْحَقِّ تَلَقَّفْ إِفْكَ مَا زَعَمُوا
 وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مَلَبُونَ ثَعْبَانِ
 وَأَبْطَلُوا كَيْدَهُمْ ، لِلَّهِ دَرَكُكُمْ
 وَأَنْذِرُوهُمْ بِتَشْتِيتِ ، وَحِرْمانِ
 وَأَفْهِمُوهُمْ بَأَنَّا لَا يُزْحِضُنَا
 عَنْ أَرْضِنَا مِنْ بَيْنِهِمْ أَيُّ طُوفَانِ
 إِنَّ الْعُرُوبَةَ جِسْمٌ نَحْنُ خَافِقُهُ
 لَوْلَا الْفَوَادُ لَا أَوْدَىٰ جِسْمٌ قَحْطَانِ
 مَا فِي فَلَسْطَيْنَ شَبْرٌ لَيْسَ يَعْرِفُنَا
 دَمًا زَكِيًّا ، يُلَاشِي كُلَّ طُغْيَانِ
 شَادَتْ جَمِيعَ صَيَاصِيهَا جَمَاجِمُنَا
 وَكُلُّنَا أَبَدًا يَوْمَ الْوَعَىٰ بَانِ

فَلْيَبْحَثُوا لَهُمْ عَنْ غَيْرِهَا وَطَنًا
فَلَيْسَ فِي أَرْضِنَا مَأْوَى لِعِزْبَانِ

* * *

كُونُوا الْبَشِيرَ بِسَلَمٍ لَا كِفَاءَ لَهَا
فَأَنْتُمْ ، إِنْ خَطَبْتُمْ ، رَهْطُ سَحْبَانِ
وَأَنْقِذُوا سُورِيَا فِي يَمِّ مِخْنَتِهَا
وَالْقَرَمَ لِبَنَانٍ مِنْ أَنْيَابِ ذُؤْبَانِ
تَحَالَفَا فَتَوَلَّى الْمَكْرُ مُنْهَزِمًا
لَمَّا تَلَاقَى بِإِنْجِيلٍ ، وَقُرْآنِ
دَسَائِسُ الْقَوْمِ بَاتَتْ لَا تُفِيدُهُمْ
إِنَّ الْفِرْنَسِيَّسَ وَالتَّكْيِيلَ صِنَوَانِ
فَإِنَّ أَبِي الْحَصَمِ إِصْفَاءٌ لِمَطْلَبِكُمْ
وَلَمْ يُعْرِ خَمَمَكُمْ أَذْنًا لِبُرْهَانِ
فَأَنْذِرُوهُ بِحَرْبٍ سَوْفَ نَكْتُبُهَا
بِأَخْرَجِ فَارَ فِي أَجْسَادِنَا قَانِ

غداً فرنسا تخطُّ المَرْبُ مَصْرَعَهَا ،
ضَرْباً بِضَرْبٍ ، وَعُدْوَاناً بَعْدُوَانِ

بُسْتِ حَيَاةٍ رُمِينَا فِي هَوَاٍ مَشْهَا
وَذَاقَ كُلُّ لِسَانٍ شَرَّ سَجَانِ

أَتَلَكِ بَارِيسُ حَيْثُ الْعَدْلُ قَدْ حُشِدَتْ
مِنْ أَجْلِهِ زُمُرٌ فِي الْعَالَمِ الثَّانِي

أَمْ تِلْكَ أَعْمَدَةُ البَسْتِيلِ قَدْ رُفِعَتْ
فِي سُورِيَا أَمْسٍ ، طُفْيَاناً ، وَلُبْنَانِ ؟

فَهَلْ تَنَاسَتْ فَرَنْسَا أَنَا عَرَبٌ
طَعْمُ الرَّدَى عِنْدَنَا وَالْعَيْشِ سَيَّانِ ؟

فَتَلِكِ إِنْ كَلْتَرَا ، وَالْعَقْلُ رَاثِدُهَا
لَمْ تَنْسَ أَنَا - إِذَا ثَرْنَا - مِنْ الْجَانِ (١)

(١) ساعدت انكلترا في اخراج فرنسا من سورية ولبنان ، ولم يكن الشاعر يعلم أن الشعب البريطاني يعمل لتشريد عرب فلسطين بعد ثلاثة أعوام ، وتسليمها الى شذاذ الآفاق اليهود .

وَأَقْبَلَتْ تَخْطُبُ الْوُدَّ الصِّمِيمَ فَلَمْ
تَجِدْ لَدَى الْعُرْبِ إِلَّا الصَّاحِبَ الْخَانِي
مَنْ يُخَالِصِ الْوُدَّ نَمَتْحُهُ الْقُلُوبَ ، وَمَنْ
يَعْدُوْهُ يُبَدِّدُ ، وَإِنْ اسْتَذَرَى بِكَيِّوَانِ
جَهَنَّمَ الْعُرْبِ - لَوْ يَذْرُؤُنَ - مَا حَقَّةُ
وَلَنْ يُطِيقَ لَظَاهَا أَيُّ إِنْسَانٍ

* * *

يَا نَجْبَةَ الصَّحْبِ اسِيرُوا نَحْوَ غَايَتِكُمْ
مُسْتَعَصِمِينَ بِإِخْلَاصٍ ، وَإِيمَانٍ
رَعَاكُمْ اللهُ فِي حِلِّ وَفُرْتَحَلِّ
وَمَدَّكُمْ بِقُوَى مِنْهُ ، وَسُلْطَانٍ

٩ حزيران ١٩٤٥ م .

بعد الأربعين

طلبت وزارة المعارف السورية من الأساتذة الفلسطينيين، الذين لجأوا الى سورية الشقيقة، بعد فكبتهم الفادحة في فلسطين، أن يؤدوا امتحاناً في المواد التي يدرسونها، لادخالهم في ملاك الدولة بعدما درسوا في سورية العزيزة عامين شهد لهم خلالها القاصي والداني بالكفاءة والاخلاص . وجلهم جامعيون من مفاخر التدريس في العالم العربي ، ومنهم من علم بضعة وعشرين عاماً بذل خلالها ضياء عينيه وزهرة شبابه كصاحب الديوان ، الذي رد على الوزارة بالا بيات الاتية التي جعلتها تضرب صفحاً عن امتحانه :

أَمِنْ ضَمِنَ البَقَاءَ لَهُ قَرِيضٌ
وَأَمْتَعَهُ بَعْرَشِ . الخالدينَا
وَلَمَّا يَبْلُغِ العِشْرِينَ عَاماً
وَيَحْنِ نُهَاهُ أَثْمَارَ السِّنِينَ
يُسَاقُ إِلَى امْتِحَانٍ فِي الْقَوَافِي
وَفِي الْمَشُورِ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ
إِذَا مَا الْحِظُّ وَافَاكَ هَزِيلاً
فَإِنَّ الْخُطْبَ يَقْفُوهُ سَمِينَا

* * *

أَمِنْ دَخَلَ الْمَلَاكُ ، مَلَاكُ خُلِدِ
 ففازَ بِهِ عَلَى الْمَتَسَابِقِينَا
 وَأَنْشَدَتْ الْعَنَادِلُ مَا تَغْنَى
 بِهِ مِنْ شِعْرِهِ سِحْرًا مُبِينَا
 وَرَدَدَتْ الرَّبِّي نُورًا ، وَنَارًا
 قِصَائِدَهُ فَأَسْكُرَتْ الْحَزُونَا
 إِذَا غَنَّى الطَّبِيعَةُ كَانَ نَفْحًا
 وَإِنْ غَنَّى الْوَعْيُ كَانَ الْأَتُونَا
 وَأَصْبَحَ فَوْقَ رَأْسِ الْمَجْدِ تَاجًا
 تَأَلَّقَ دُرُّهُ فِي الْعَالَمِينَا
 يُقَالُ لَهُ : تَقَدَّمَ لِامْتِحَانِ
 لِتُصْبِحَ فِيهِ بَيْنَ النَّاجِحِينَا ؟

* * *

سَلُّوا الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ عَنْ قَصِيدِي
 وَقَدْ دَوَّى ، وَهَزَّ الظَّالِمِينَا

سَلُّوا عَنِي الْمَنَارَ وَالنَّوَادِي
 وَقَدْ ضَمَّتْ أَلُوفَ الْمُعْجِينَ
 وَأَمْوَاجَ الْأَثِيرِ مُدَوِّيَاتٍ
 بِصَوْتِي يَسْتَفِزُّ الْخَامِلِينَ
 وَيَدْعُو الْعُرْبَ مِنْ حَلَبٍ وَصُوبٍ
 لِيُلْقُوا فِي الْخِصَمِ الْمُعْتَدِينَ
 سَلُّوا عَنِي بَنِي قَوْمِي عِطَاشاً
 وَقَدْ أَثْمُوا قَرِيضِي وَارْدِينَ
 سَلُّوا الْفُصْحَى ، فَإِنَّ لَهَا جَوَاباً
 سَيَجْلُو الْحَقُّ وَضَاحاً مُبِيناً
 فَأَهْلُ الضَّادِ فِي غَوْرٍ وَنَجْدٍ
 بَنُو لَسَنِ بِهِ يَتَوَاصَلُونَ
 وَإِنَّ الْفَضْلَ يَعْرِفُهُ ذَوُوهُ
 كَمَا عَرَفَ الصَّبَاحَ الْمُبْصِرُونَ
 وَلَيْسَ سَوَالِكُ سُورِيَا يُرْجَى
 لِتَقْدِيرِ الرِّجَالِ الْعَامِلِينَ

فَأَنْتِ زَعِيمَةٌ لِلذَّوْقِ صِرْفاً

تَفْتَحُ قَلْبُهَا الْوَاعِي عُيُوناً

وَأَنْتِ الْيَوْمَ آخِرُ مَنْ تَحَلَّتْ

دَوَاوِينِي بِهِ عِقْداً ثَمِيناً

حلب: آب ١٩٥٠

نَشِيدُ الذِّكْرِ

نظم ليوم ذكرى ارتقاء جلالة ملك اليمن يحيى حميد الدين العرش ،
وقد لحنه وغناه الأستاذ الموسيقار احمد صبرا :

البُلْبُلُ الوَلَّهَانُ

غَنَّى عَلَى الْأَغْصَانِ

أَنْشُودَةَ الْفَجْرِ

فَادَتْ الْأَفْنَانُ

عَلَى صَدَى الْأَلْحَانِ

فَوَّاحَةَ الزَّهْرِ

وَهَبَتْ الْأَنْسَامُ

نَشْوَى مِنَ التَّغْرِيدِ

وَزَفَّتِ الْأَنْغَامُ

بُشْرَى حُلُولِ الْعِيدِ

يَوْمَ ارْتَقَى الْعَرْشَا يَحْيَى حَمِيدُ الدِّينِ

تَغَرُّ الْمُنَى هَشَا لِسَامِخِ الْعِرْنَيْنِ

تَرْبِعِي صِنْعًا

عَلَى رُبَى الْجُوزَاءِ

يَا زَيْبَةَ الدُّنْيَا

فَالْفَجْرُ وَالْأَنْدَاءُ

حَيْثُكَ ، وَالْأَحْنَاءُ

خَفَّاقُهَا حَيًّا

يَوْمَ ارْتَقَى الْعَرْشَا

يُحْيِي حَمِيدُ الدِّينِ

تَغْرُ الْمُنَى هَشًّا

لِشَامِخِ الْعِرْنَيْنِ

يَا عَاهِلَ الْمَجْدِ

وَالْعَزَمِ ، وَالرَّفْدِ

هَذِي تَهَانِينَا

فِي يَمَنِ السَّعْدِ

وَمَعْقِلِ الْأُسْدِ

حَلَّتْ أَمَانِينَا

يَوْمَ ارْتَقَى الْعَرْشَا

يُحْيِي حَمِيدُ الدِّينِ

تَغْرُ الْمُنَى هَشًّا

لِشَامِخِ الْعِرْنَيْنِ

يَا فَا : ٢٠ ربيع الاول ١٣٦٤ هـ ، ٥ آذار ١٩٤٥ م .

لولاك

لولاك لم يَشْدُ في الأضلاع ، لولاك
قلبي الذي لَقِّنْتُهُ الحُبَّ عيناك
تَمِيَّتِهِ ، فَهَفَّتْ أَلحَانُهُ أَرْجاءَ
عَرَفْتُ في كلِّ حرفٍ مِنْهُ رَيَّاكِ
رَوْضٌ مِنْ الحُسْنِ في الزَّندِينِ زَنْبَقُهُ
والوردُ أَطْلَعَهُ للرَّوضِ خَدَّاكِ
والجَلَنارُ بَدَأَ في الشَّعْرِ مَخْضِباً
والشَّهْدُ عَمِيَّتُهُ رُوحِي مِنْ ثَنَائِكَ
والصَّدْرُ دُمَانُهُ كَمْ رُحْتُ أَقْطِفُهُ
فلم تَصُدِّ خَلِيلَ الرُّوحِ يُنْشَاكِ
وكم شَمَمْتُ شِدَا الأَنْفَاسِ عَابِقَةً
فَخِلْتُ جَنَّاتِ عَذْنٍ في حَنَائِكَ
قد كُنْتُ لِي وَرْدَةً طَافَ الرِّيفُ بِهَا
طَوَافَ رَهْطٍ مِنَ الحُجَّاجِ نَسَاكِ

فَيْتُ بَعْدَ النَّوَى أَشْكُو أَسَى لَأَسَى
وَالرُّوحُ تَائِهَةٌ فِي غَابِ أَشْوَائِكِ
أَدِيرُ طَرْفِي ، وَالْأَرْزَاءُ تَعْصِفُ بِي ،
فَلَا تُكْحَلُ أَجْفَانِي بِمِرَاكِ
أَيَا فِلَسْطِينَ ! يَا قَلْبَ الْعُرُوبَةِ ، يَا
مَهْدَ الْمَنَى ، وَمَلَاذَ الْبَائِسِ الشَّاكِي
يَا ذِرَّةً ، فَوْقَ جِيدِ الدَّهْرِ ، رَائِعَةً
وَبَلَسْمًا لِجِرَاحِ الْمَذْنَفِ الْبَاكِي
وَمُنِيَةَ الرُّوحِ تُصَيِّبُنِي خَمَائِلُهَا
أَهْوَاكِ ، مَا نَبْضَ ابْنِ الصَّدْرِ ، أَهْوَاكِ
أُمْنِيَّتِي مِنْكَ رَمْسٌ بَعْدَ عَوْدَتِنَا
مُظْفَرِينَ ، فَهَلْ أَحْظَى بِلِقْيَاكِ ؟
لَا تَتْرُكِي كَيْدِي فِي غَمْرَةِ الْكَمَدِ
أَفْدِيكَ بِالْوَلَدِ وَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ
يَا قُدْسُ ! يَا بِلْدِي

قد أوزقت - بعدما جئت مآقينا -
 في روضة الصدر أشكالا أمانينا
 كُنَّا نَهِيمُ ببيداء الأسي زُمرًا
 مُشَتَّينَ ، وليلُ اليأس يطوينا
 فجاءنا من ضمير الغيب ، مؤتورا
 بِهَمَّةٍ تَمَحَّدِي الدَّهْرَ ، راعينا
 ما كادَ يَنفُخُ في مِزْمَارِهِ سَحْرًا
 حَتَّى اجتمعنا ، وأرسلنا أغانينا
 تَقِيضُ بِالسَّحْرِ وَالْإِلْهَامِ لَحْنَهَا
 فَذُّ يُفَدِّيهِ قَاصِينَا ، ودانينا
 لَحْنُ البُطُولَةِ فِي الهَيْجَاءِ أَنْشَدَهُ
 جَمَالُ ، قَمَّتَا الْعُلْيَا ، وحامينا
 قَدَرَدَدَتْهُ اللَّهَى فِي بُورِ سَعِيدٍ فَلَمْ
 يَكْفَ حَتَّى قَضَى رُغْبًا أَعَادِينَا

لولا جمالٌ ، لما طالت قوادِمُنَا
حتى انقضضنا على العادي شواهِينا
لولاهُ ، لم تتفجّر قطُّ عزَمُنا
حتى علّت في بني قومي براكِينا
لولاهُ ، ماذا جُنولٌ وعُصْبَتُهُ
في حومةِ الحرب زَقوماً وغسلينا
ولم تسيطر على الأجواء أنسرُنَا
ولم تهاد كاعلام جوارينا
رُبّانها ، ناصرٌ لا يزتضي أبداً
في غير حيفا بأن تُلقَى مراسينا
يا إسرائيلُ اغداً في اللدِّ موعِدُنَا
والبرُّ هيهات أن يُعي الطواحينَا
فالعربُ إن ناروا لم يبق جبارُ
لم تصلِّهِ النارُ فيُفسَل العارُ
وترجع الدارُ

قد زرتُ قَبْرَ رَسولِ الوَاحِدِ الصِّمدِ
 مُحَمَّدٍ بِخُشُوعٍ مُرْعِدٍ جَسَدِي
 أَكْفِكُ الدَّمْعَ ، إِجْلَالاً لَهُ ، بِيَدِ
 وَأُمْسِكُ القَلْبَ ، مَفْتُوناً بِهِ ، بِيَدِ
 وَطَفْتُ بِالْكَعْبَةِ الْغَرَاءِ مَعْتَمِراً
 أُحْدِي بَرْوَحٍ مِنَ الْإِيمَانِ مُتَّقِدِ
 وَرُحْتُ أَدْعُو إِلَهِي ، وَالرَّسولَ مَعاً
 وَالوَجْهَ مِنْ دَمْعِي الْمُنْهَلِ جَدُّ نَدِي
 بَحِثْتُ عَمَّنْ لَهُ أَدْعُو ، فَأَعُوزَنِي
 ذِكْرُ لَأَهْلِي ، وَالْأَحْبَابِ ، وَالْوَلَدِ
 وَتُهِتُ عَنْ ذِكْرِ نَفْسِي ، وَالِدُعَاءِ لَهَا
 فَلَمْ تَدُزِّلِي فِي بَالٍ ، وَلَا خَلَدِ
 وَمَا ذَكَرْتُ سِوَى قَوْمِي وَطُودِهِمْ
 ذَاكَ الَّذِي كَافَحَ الْجُلَى وَلَمْ يَمِدِ
 لَنْ نَسِيَتْ جَمَالاً ، لَا رَجَعْتُ إِلَى
 أَهْلِي ، وَلَا شَهِدَتْ عَيْنِي صَبَاحَ غَدِي

ذَكَرْتُهُ فِي دُعَائِي قَبْلَ أَنْ خَطَرَتْ
بِالْبَالِ ذِكْرِي فَلَسْطَيْنِ الْعُلَى ، بِلَدِي

وَفِي فَلَسْطَيْنِ أَحْلَامُ الصَّبَى ازْدَهَرَتْ
وَشَطَرَهَا سَارَ خَفَّاقِي ، وَلَمْ يَعُدْ

وَفَوْقَ أَدْوَا حِهَا ، غَشَّتْ عَنَادِلُهَا
شِعْرِي بِلَحْنِ شَجِيٍّ ، عَنْهُ لَمْ تَحِدْ

وَنَحْوُ شُطَّانِهَا ، رُوحِي هَفَّتْ وَلَهَا
وَحَوَّمَتْ حَوْلَ أَزْهَارِ الرَّبِّي كَيْدِي

وَاللَّبُّ فِي غَيْرِ أُولَى الْقَبْلَتَيْنِ إِذَا
بَحِثْتُ عَنْهُ ، وَحَقَّ الْعُرْبُ ، لَمْ أَجِدْ

فَالْقَلْبُ إِنْ صَبَرَا وَسَيَّرَ الْقَدَرَا

نَالَ الْمُنَى سُورَا وَيُلْغِ الْوُطْرَا

وَحَقَّقَ الظَّفَرَا

قَدْ زَالَ عَهْدُ الْبُكْيِ ، وَالنَّذْبِ ، وَالْحَزَنِ
وَجَاءَ عَهْدُ اقْتِنَاصِ الثَّارِ يَا وَطَنِي

ومارِدُ العُربِ دَوَى كَالرُّعُودِ لَهُ
 قَصْفٌ تَزَلُّزَلٌ مِنْهُ جَحْفَلُ الزَّمنِ
 والفَجْرُ أَقْبَلَ مَزْهُوًّا بِغُرَّتِهِ
 وانْجَابَ لَيْلُ الْأَسَى ، وَالْهَمِّ ، وَالشَّجَنِ
 وَحَقِّقَتْ وَحْدَةً قَامَتْ دَعَائِمُهَا
 عَلَى الشَّامِ ، وَمَصْرِ الْعُربِ ، وَالْيَمَنِ
 وَزَالَ كَابُوسُ نُورِي فِي الْعِرَاقِ ، وَلَوْ
 لَمْ يَنْقُضِ الْعَهْدَ « كَرْوَمٌ » وَلَمْ يَخُنْ
 لَقَوْضِ الْعُربِ إِسْرَائِيلَ أَجْمَعَهَا
 فِي لَيْلَةٍ ، فَكَأَنَّ الْمَسْخَ لَمْ يَكُنْ
 يَا وَيْحَ قَاسِمَ لَوْلَاهُ لَمَا انْدَلَعَتْ
 فِي صَدْرِ يَعْزُبَ نِيرَانٌ مِنَ الْمَحَنِ
 عَبْدُ الْكَرِيمِ ، وَمَا عَبْدُ الْكَرِيمِ سِوَى
 خَبٍّ أَصِيبَ بَلْبٍ مُزٍ مِنَ الْوَهَنِ
 مُذْقِيلَ : أَحْمَرُ . لَمْ أَعْجَبْ ، وَقُلْتُ تُرَى
 مِمَّنْ ؟ فَفَقِيلَ : سَلِ الزُّورَاءِ وَامْتَحِنِ

وَمُذْ قَضَتْ ، بَانَ لَنَا

سِرُّ النِّتَانَةِ فِي الْأَنْفَاسِ وَالْبَدَنِ

وَحَسْبُنَا مَا سَيَجْزِيهِ الْقَضَاءُ بِهِ

مَنْ قَبْلَ ثَلَاثَةِ الْأَشْهُاءِ فِي الْكَفَنِ

فَالشَّعْبُ كَالرَّيْحِ ، إِنْ هَبَّتْ مُوَلِّوْلَةٌ

هِيَهَاتَ ، هِيَهَاتَ أَنْ تَبْقَى عَلَى السُّفْنِ

لَا يَرْتَعِي الظُّلْمُ إِلَّا رُوحَ صَاحِبِهِ

وَصَانِعُ الْوُثْنِ لَا يَنْشَى مِنَ الْوُثْنِ

إِنْ ثَارَتْ النَّاسُ لَمْ يَنْبَقِ دِمَاسُ

فِي جَسَمِهِ رَأْسُ وَالْأَرْضُ أَرْمَاسُ

لِكُلِّ مَنْ خَاسُوا

أَمَنْتُ بِالنَّبْلِ بِحُورِي فِي دَمِ الْعَرَبِ

وَبِالْعَزِيمَةِ تَحْوِ ظُلْمَةَ الْكُرْبِ

وَرَحْتُ أَحْمَدُ الْأَقْدَارِ نَكْبَتَنَا

وَمَا بَلُونَاهُ مِنْ وَيلٍ ، وَمِنْ أَحْرَبِ

ففي فلسطينَ فَتَحْنَا العيونَ عَلَى
مَا لِلصَّهَابَيْنَةِ الْأَشْرَارِ مِنْ نُوبٍ

وفي فلسطينَ عَبْدُ النَّاصِرِ احْتَدَمَتْ
في نَفْسِهِ مِنْ وَغَاها جَمْرَةُ الغَضَبِ

حَتَّى إِذَا أَجَّ آتُونُ الوَغَى انصَهَرَتْ
حَوْلَ القَنَاةِ جُيُوشُ الغَرْبِ فِي اللَّهَبِ

وفي غَدٍ، سَنَرَى أُسْرَائِيلَ قَدْ فَتَكَتْ
بِهَا العُرُوبَةُ فَتَكَ النَّارِ بِالْحَطَبِ

إِنَّ الصَّهَابَيْنَةَ الْأَوْغَادَ قَدْ غَرَسُوا
فِي صَدْرِنَا الْحَقْدَ فِيمَا مَرَّ مِنْ حَقَبٍ

فَقَدَمْنَا الْحَقْدُ حَتَّى أَنْ دُوَحَتْهُ
أَزْرَتِ ضَخَامَتُهَا بِالْمَعْقِلِ الْأَشْبِ

وَبَاتَ أَبْنَاءُ قَوْمِي مِنْ ضَغِينَتِهِمْ
وَمِنْ لَظَى ثَأْرِهِمْ فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ

فَالْعُرْبُ بَحْرٌ، إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهُ
مَا كَانَ أَعْدَاؤُنَا فِيهِ سِوَى جَبَبٍ

فَلْيَحْشُدُوا نَسْلَ إِسْرَائِيلَ أَجْمَعَهُ
 كَمَا نُبِيدَ الطُّفْلِيَّاتِ بِالرُّعْبِ
 وَنَسْتَرِدْ فِلَسْطِينَ، وَقَدْ زُرِعَتْ
 أَشْلاهُ صَهْيُونَ فِي صَوْبٍ، وَفِي حَدَابِ
 فَلَا فُجُورَ، وَلَا أَرْجَاسَ تُثْقِلُنَا
 وَلَا وَجُودَ لَطَاعُونَ، وَلَا جَرَبِ
 غَدًا فِلَسْطِينُ يَنْدَكُ صَهْيُونَ
 سَخَقُ الْعِدَى دِينَ لَا يَنْفَعُ اللَّيْنُ
 صَبْرًا فِلَسْطِينُ

حلب : ١٥ / أيار ١٩٥٩

فجر العُروبَة

تَلَقَّتْ شَطْرَ أُمَّتِنَا الزَّمانُ
وراحَ يَخُطُّ ما أَمَلَى الجِئانُ
عزائمُ، كُلِّها ازدَحمتْ خُطوبُ
تَشَبَّثَ كالقضاءِ بها الجِئانُ
شَغَلْنَا الدَّهرَ شُبَّاناً ، وَشَيْباً
بِها حَتَّى سَما للعُربِ شانُ
ففي غيلِ التَّوافيقِ استكانتْ
لنا أُسْرائيلُ ، وَأُنْصَدَعَ الكِيانُ (١)
وَأَئْمَنَّا القَنَاةَ بِحِمْزِ بَأْسِ
جُنودِ الإِنْكِلِيزِ لَهُ دُخَانُ

(١) هي قرية التوافيق العربية الواقعة بين حدود الاقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة وحدود فلسطين المحتلة ، وقد مني فيها الجيش الاسرائيلي بهزيمة ساحقة .

وَأَقْدَمْنَا عَلَى حُتْمِ الْمَنَايَا
 لَهَا فِي بَوْرِ سَعِيدٍ مِهْرَجَانُ
 تُصَبُّ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْ خِصَمِّ
 سُيُولَا لَمْ يُشَدَّ لَهَا عِنَانُ
 فَا زَحَزَحْنَا حَتَّى غَدَوْنَا
 يُشِيرُ إِلَى بُطُولِنَا الْبَنَانُ
 وَلَقْنَا أَعَادِينَا دُرُوسًا
 بَلَّوْنَا مِنْهَا الدَّوَاهِي فَاسْتَكَانُوا
 إِذَا لَمْ يُزَخَّصِ الْأَرْوَاحَ شَعْبُ
 لِمَحُو عِدَاهُ أَرْخَصَهُ الزَّمَانُ
 فَمَهْرُ الْمَجْدِ أَرْوَاحُ يَجُودُ بِهِنَّ مَنْ خُطِبَا
 مَنْ الْعِلْيَاءِ تَعَشَّقُهُ إِذَا لَمْ تَعَشَّقِ الْعَرَبَا ؟

* * *

لَنْ شِدْنَا لِمَاءَ النِّيلِ سَدًّا
 فَمِنْ أَبْطَالِنَا شِدْنَا سُدُودًا

بَنَيْنَاهَا بِإِيمَانٍ وَطَيْدٍ
 نَصُدُّ بِهِ الْفِرَاجَةَ ، وَالْيَهُودَا
 فَمَنْ لِلْمَجْدِ طَارَ بِهِ جَمَالُ
 غَدَتِ زُهُرُ النُّجُومِ لَهُ عَبِيدَا
 وَمَنْ جَعَلَ الْقُلُوبَ لَهُ حِصُونًا
 رَأَى فِيهِ الْعِدَى خَضَمًا عَنِيدَا
 إِذَا مَا فَجَّرُوا الذَّرَاتِ طُرَا
 فَإِنَّ قِلَاعَ قَوْمِي لَنْ تَمِيدَا
 وَإِنْ سَأَلْتَ بَعْسَكَرِنَا الْفِيَّافِي
 وَغَطَّيْنَا الْأَبَاطِحَ ، وَالنُّجُودَا
 تَهَاوَتْ فِي الْحُدُودِ لِإِسْرَائِيلَ
 مَعَاقِلُ كَالْجِبَالِ ، فَلَا حُدُودَا
 لِنُلْقِيَهُمْ إِلَى النَّيْرَانِ قَوْتًا
 وَنُنْقِذَ مِنْهُمْ هَذَا الْوُجُودَا
 فَتَارُ الْحَرْبِ تَسْتَشِيرِي وَتَضْرِي
 إِذَا كَانَ الْيَهُودُ لَهَا وَقُودَا

سَنَجْعَلُ يَوْمَ وَحْدَتِنَا جَمِيعاً
 وَيَوْمَ تَذَكُّ إِسْرَائِيلُ عَيْدَا
 فَلَنْ نَبْقِيَ عَلَى وَغْدٍ طُفَيْلِيْ بَلَا شَرَفٍ
 فَإِنَّ مَصِيرَ مَا يُؤْذِي مِنْ الْجُرْثُومِ لِلتَّلَفِ

* * *

يَحْنُ إِلَى فَلَسْطَيْنِ فَوَّادِي
 حَنِينِ الْيَدِ لِلْسُّحْبِ الْغَوَّادِي
 وَتَنْزَعُ شَطْرَهَا رُوحِي اشْتِيَاقاً
 تُزَوِّعُ نَفُوسِ قَوْمِي لِلْجِهَادِ
 وَطَرْفِي لَمْ يَجْسُ إِلَّا رُبَاهَا
 إِذَا لَفَّتْهُ أْبْرَادُ الرُّقَادِ
 أَكْجَلُهُ بِسَاقِيَةٍ ، وَنَهْرٍ
 وَطُودٍ شَامِخٍ عِزّاً ، وَوَادٍ
 وَظِلٍّ فِي جَنَائِنِهَا وَرَيْفٍ
 وَصَدَّاحٍ ، عَلَى الْأَدْوَاحِ شَادٍ (١)

(١) الظل الوريف : الظل الواسع الممتد .

وزهرٍ ، عابِقِ الأَنْفَاسِ تَرْنُو
 إِلَيَّ عُيُونُهُ شَغْفًا ، وَنَادِ
 وَدَرْبِ ، مِنْهُ لُمْتُ الأَمَانِي
 وَقَدْ نُثِرَتْ كَأَشْلَاءِ الْفَوَادِ
 وَحُبِّ ، فَضْ أَفْئِدَةَ الْعَذَارَى
 وَمِنْهَا حَلَّ فَرْدًا فِي السَّوَادِ
 وَلَكِنْ لَا يَكَادُ النَّوْمُ يَجْلُو
 لِيُسَلِّمَنِي إِلَى شِدْقِ الشُّهَادِ
 شَرِيدًا ، أَرْتَعِي الْأَشْوَاقَ حَتَّى
 يَعُودَ ابْنُ الضُّلُوعِ إِلَى الْحِدَادِ

وَيَسْكُبُ دَمْعَهُ يَمًّا بِلاَ هَدَفٍ ، وَلَا أَمَلٍ
 وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ مِنْجَلُ الْأَجَلِ

* * *

إِذَا عَلَلْتُ بِاللُّقْيَا ابْنَ جَنِي
 لِأَبْذَرِ فِي دُرُوبِ الْقُدْسِ حُبِّي

وَأَحْتَضِنَ الثَّرَى ، وَأَصْبَ رُوحِي
عَلَى أَعْشَابِهِ مِنْ كَأْسِ قَلْبِي
وَأَجْنَى زَهْرَهُ مِنْ كُلِّ وادٍ
وَرَابِيَةً ، بِأَنْمَلَةٍ وَهَذَبٍ
وَأَنْظَمَ مَا تَلَحَّنُهُ السَّوَاقِي
نَشِيدَ مُوَلِّهِ بِاللَّحْنِ ، صَبٍ
تَنَكَّرَ لِي الزَّمَانُ ، فَخَابَ فَأَلِي
وَبَانَ لِي السَّرَابُ ، فَطَاشَ لِي
فَفِي قَدْ عَقَّ ابْنُ

عُرُوبَتُهُ ، وَبَاتَ أَجِيرَ غَرْبِ (١)
أَتَانَا مُوجَزاً جِسْماً وَعَقْلاً
فَكَانَ الْخَطْبُ فِيهِ شَرٌّ خَطْبٍ
إِذَا مَادَقَ لِلْجُرْثُومِ حِجْمٌ
أَصَابَ الْمُبْتَالِينَ بِهِ يَنْخَبِ

(١) هُوَ بَنُ

..... ، فأوصد الأبواب دُوني
وسدَّ عليَّ بغياً كُلَّ دَرْبِ

فَحَسْبِي مَنْ بَنِي وَطَنِي صَدُورُ
يُوجِّجُهَا إِلَيَّ الشَّوْقُ حَسْبِي
يُقِيمُ الْجِسْمُ فِي حَلَبٍ وَرُوحِي فِي رَبِّي الْقُدْسِ
يُرَدِّدُ ذِكْرَهَا قَلْبِي وَتَصْبُو نَحْوَهَا نَفْسِي

* * *

وَفِي بَغْدَادَ آثِمُهَا تَجَنَّى
عَلَى الشَّعْبِ الْأَبِيِّ ، فَقُلْتُ : جُنَّا (١)

إِذَا سَحَلُوا الْوَلِيدَ ، شَفَى غَلِيلاً
وَإِنْ هَتَكُوا سُتُورَ الْغَيْدِ ، غَنَّى (٢)

تَرَاهُ عَلَى الْأَعَاجِمِ أَزْيَجِيًّا
وَإِنْ سَأَلُوهُ رِفْدَ الْعُرْبِ ضَنًّا

(١) آثم يغداد : هو عبد الكريم قاسم سفاح العراق ، وقد سماه
الرئيس جمال عبد الناصر ب (آثم) .
(٢) سحلوا : سحقوا .

فما عبدُ الكريمِ بِيَعْرِيٍّ
 فَلَسْنَا نَحْنُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ مِنَّا
 فلو سَالَ الدَّمُ الْعَرَبِيُّ فِيهِ
 لَطَابَ الْيَوْمَ أَغْرَاساً وَمَجْنَى
 إِذَا شَاهَدَتْهُ ، أَلْفَيْتَ مَبْنَى
 وَإِنْ حَادَثَتْهُ ، لَمْ تَلَفِ مَعْنَى
 فَلَنْ يَحْمِيَهُ مِنْ قَوْمِي حُسَامٌ
 إِذَا الْبَغْضَاءُ حَطَّطَ الْمِجَنَّا
 وَفِي الْخَضْرَاءِ تُونِسَ ، قَدْ دُهِينَا
 بِزَنْدِيقٍ إِلَى الْغَرْبِ اطمأنَّا
 يُقَالُ لَهُ الْحَبِيبُ ، وَذَاكَ مَيْنٌ
 وَلَوْ قَالُوا الْبَغِيزَ ، لَكَانَ أَدْنَى (١)
 لَهُ اسْمٌ مِنْ حُرُوفِ الْعَرَبِ نَسْجاً
 وَقَلْبٌ أَمْرَكِيٍّ الْوَدَّ لَحْناً

(١) هو الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس ، وعدو العروبة العضال .

يَبِيعُ الدِّينَ ، وَالشَّعْبَ الْمَفْدَى
إِذَا الدُّوْلَارُ فِي أُذُنِهِ رَنَّا

فَإِنْ بَارِيسَ زَوْجَتُهُ وَفِيهَا أَوْطَنَ الْقَلْبُ
وَفِي وَاشْنَطُنِ نَوْرٌ مِنْ الدُّوْلَارِ لَا يَنْجُبُو

* * *

إِذَا عَمَدَ الْحَبِيبُ إِلَى التَّجَافِي
وَرَا حَ يُشِيرُ نِيرَانِ الْخِلَافِ

كَقَاسِمَ ذِي الْمَآثِمِ ، أَوْ
يَكُونُ بِذَاكَ ثَالِثَةً الْآثَانِي

وَرَابِعُهُمْ ، هُوَ الذِّئْبُ الْمُرْجَى

لِنَشْرِ الْعَدْلِ مَا بَيْنَ الْخِرَافِ

فَتَى التَّهْرِيجِ ، مَهْدَاوِيَّ عَهْدِ

حَكَّتْ جَنَاتُهُ جَنْبَ الْفِيَا فِي (١)

(١) هو عباس فاضل المهداوي رئيس المحكمة العسكرية ببغداد ،
ونيزون القرن العشرين بجنونه وطغيانه . الجذب : الماحل . المجدب .

لَهُ « سِرْكُ » يُجَاكُمُ فِيهِ رَهْطًا
 عُرُوبَتُهُمْ تَدَثُّو بِالشَّغَافِ (١)
 وَصَوْتُ بَزٍّ نَعَبَ الْبُومِ لَيْلًا
 وَقَدْ سَلِبَ الْقَوَادِمَ وَالْخَوَافِ
 يَقُولُ الشَّعَرُ مَخْتَلًا رَكِيكًا
 فَلَا وَزْنَ هُنَاكَ ، وَلَا قَوَافِ
 وَأَمْثَالُ الْمَهْرَجِ بَيْنَ قَوْمِي
 سَتَجِرُ فُهُمَ مِنَ الشَّعْبِ السَّوَافِ (٢)
 فَلَمْ يَخْفَلْ صَلاَحُ الدِّينِ قَبْلًا
 بِشَاوَرَ وَهُوَ كَالسَّمِّ الزُّعَافِ (٣)

(١) الشغاف : غلاف القلب .

(٢) السوافي : الرياح التي تزدري التراب وتبدده . مفردها : سافية .

(٣) هو الوزير شاور السعدي الذي تعاون مع الصليبيين على الفتك بالمسلمين ، والذي حاول ان يقتل بالسم اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين ، فلم يَفْزَرْ ببغيته . وقد قتله صلاح الدين الأيوبي بإيعاز من عمه شيركوه سنة ١١٦٩ هـ .

أَطاحَ بِهِ ، وبالأعلاجِ حتَّى
رأى الأُمَجَادَ دَانِيَةَ القِطَافِ
وسوفَ يُزِيلُ قَائِدُنَا جَمَالَ الدِّينِ مَنْ خَانَا
ولنَ يُبْقِيَ لِمَن كَفَرُوا بِفَضْلِ العَرَبِ سُلْطَانَا

* * *

سَلُّوا الزَّحْفَ المُقَدَّسَ كَمَا كَسَحْنَا
بِهِ خَصْمًا ، وَحَطَّمْنَا شَكِيمَا (١)
فَهَذِي كَلْيُوبَتْرَةً ، قَدْ قَصَمْنَا
بِهَا ظَهَرَ اسْرئِيلَ ، فَلَنَ تَقُومَا (٢)
أَتَيْنَا الصِّلَ ، وَنِيُوزُكَ جُحْرٌ
لَهُ ، مَلَأَ الدُّنْيَا مِنْهُ سُومًا

-
- (١) مفردها شكيمة : وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .
(٢) هي الباخرة العربية كليوبترة التي امتنع عمال نيويورك عن إفراغ حمولتها بإيعاز من الصهيونية العالمية ، فأضرب عمال العرب في موانئ البلاد العربية كافة عن تفريغ حمولة السفن الاميركية ، فتراجع العمال الاميركيون عن قرارهم مرغمين ، وباعت الصهيونية الدولية بالاختفاق ، وعدنا بالنصر المؤزر . حدث ذلك في شهر أيار سنة ١٩٦٥ .

دنا الحاوي ، فأخرجهُ ذليلاً
 وكان جمالُ بالأفعى عليا
 فنحنُ بوحدةِ العُمَالِ فُزْنَا
 وأذهلنا ، بما نلنا ، الخُلوما
 فما هَبُوا لِقَاصِ الشَّارِ حَتَّى
 أَذَلُّوا فِي حُصُونِهِمُ الْخُصُوما
 فكيفَ إذا تَوَحَّدْنَا شُعُوباً
 وَأَمْسَى عِقْدُ وَحَدَتِنَا نَظِيماً ؟
 ولو أَنَّ الْأَصَابِعَ لَمْ تُوَحَّدْ
 وتُصْبِحَ رَا حَةً ، تُلْقَى الرَّجُوما
 لَأَفْنَاهَا التَّشْتُّ ، وَهِيَ كَثْرُ
 وَمُنْذُ تَوَحَّدَتْ غَزَتْ النُّجُوما
 أَرَى فَجَرَ الْعُرُوبَةِ قَدْ تَجَلَّى
 وَلاَحَ بِأُفُقِنَا أَمَلاً عَظِيماً

فَعَبْدُ النَّاصِرِ انْتَلَقَتْ بِطَلْعَتِهِ أَمَانِينَا
فَلَمَنْ نَحْشَى ذُرِّيَّتَهُمْ وَهَذَا اللَّيْثُ حَامِينَا

* * *

غَدَاً يَجْمَرُ بِالنِّيرَانِ أَفْقُ
وَأَعْنَاقُ الْعِدَى قَسْرًا تُدَقُّ
إِذَا تَيَّارُ ثَارِ الْعُرْبِ أَلْقَى
بِشِحْنَتِهِ ، مَحَا الْأَعْدَاءَ صَعَقُ
سُرْعَدُ بِالصَّوَاعِقِ هَاطَلَاتِ
يُرِيهَا قَلْبَ إِسْرَائِيلَ بَرَقُ
وَنَمْحَرُ بِالسِّفِينِ لِتَلْ أَيْبِ
لِيَلْهَمَهَا مِنَ الْأَسْطُولِ حَرْقُ
وَنَزَرَعُ بِالْجَافِلِ كُلَّ سَهْلٍ
وَحَزْنٍ ، لَا نَلِينُ وَلَا نَرِقُ (١)

(١) الحزن : المرتفع من الارض .

وَلَا نُبْقِي لِصِهْيُونٍ عَجُوزاً
 وَلَا طِفْلاً لِمَظْفٍ يَسْتَحِقُّ
 وَلَا خَوْداً تَمِيسُ ، وَلَا شَبَاباً
 لَهُمْ فِي حَلْبَةِ الْفَحْشَاءِ مَبِيقُ
 وَمَنْ لَمْ يَخْتَرْ الدَّامَاءَ قَبْراً
 تَلَقَّهْهُ عَلَى الْأَعْوَادِ شَنْقُ (١)
 فَلَنْ يَنْجُو مِنَ الْأَوْغَادِ حَيُّ
 وَطِيَّ صَدُورُنَا لِلْقَلْبِ خَفَقُ
 فَمَا امْتَدَّتْ إِلَى الدُّنْيَا شُرُورُ
 وَلَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ بَيْنٌ عِرْقُ
 إِذَا إِسْرَائِيلُ لِلْأَبْوَابِ سَدَّتْ
 بِأَوْجِهَا ، فَمِدْفَعُنَا يَدُ
 لِنَجْعَلَهُمْ جَمِيعاً مِثْلَ وَادٍ
 لِدَاوُدَ ، لَهَا لَفْظٌ وَنُطْقُ

(١) الدَّامَاءُ : البحر .

وَإِنْ شِئْنَا كَتَابَتَهَا تَلَا شَتَّ
وَزَحَزَحَهَا عَنْ الْقِرْطَاسِ مَحَقُّ

* * *

سَنُرْجِعُ بَعْدَ مَحْوِهِمْ مَفَاخِرَ مَجْدِنَا التَّالِي
وَيُتَّقُ فَوْقَنَا عِلْمٌ يُسَوِّدُهُ أَبُو خَالِدٍ (١)

حلب : ١٥ أيار سنة ١٩٦٠

(١) أبو خالِد : كنية الرئيس جمال عبد الناصر .

الظهير البربري

الظهير البربري هو مرسوم افونسي يقضي بتنصير البربر في المغرب
الافريقي .

اللهُ أَكْبَرُ ! رُوِّعَ الْإِسْلَامُ
وطواه في كهف الزمان ظلامُ

مَشَتْ الْخُطُوبُ إِلَيْهِ يَتْلُو بَعْضُهَا
بَعْضاً ، وَدَاءُ الْمُسْلِمِينَ عُقَامُ

هُنَا ، وَقَدْ كَثُرَ الذَّنَابُ ، فَاَعَسَى
يَوْمَ الْكُرْبَةِ تَصْنَعُ الْأَغْنَامُ ؟

صَدَّقُوا بِحِمْلَتِهِمْ ، وَعُدْنَا الْقَهْقَرَى
وَحُسَامُنَا عِنْدَ النَّزَالِ كِهَامُ

نَتَلَمَّسُ الْأَمَالَ شَتَّى الْوَتَى
فَنَوُوبُ لَا أَمَلٌ ، وَلَا أَحْلَامُ

خُفْنَا عَلَى الْأَقْوَالِ نُحْكِمُ رَصْفَهَا
وَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الْمَسْوَدِ حَامُوا

للفاتحين شواظُ دباباتهم
 ولنا خطابُ مفوهٍ ، وكلامُ
 هذي مدافعهم ، وذوي أقلامنا ،
 أعلى المدافع تُشهرُ الأَقلامُ ؟
 تالله ! خيرٌ من مدارِ هنا فتى
 شاكي السلاح ، مُناضلٌ ، تَمْتامُ
 لن يُدركَ الحقَّ الضَّعيفُ تسوُّلاً
 هذا لعمري كُلُّهُ أوهامُ
 العَدْلُ حيثُ البطشُ وارٍ زَنَدُهُ
 والحقُّ حيثُ الجيشُ ، ونهْوُ لُهامُ
 والمجدُ ، ما بالدَّمعِ يُنْطَبُ ودُّهُ
 مَهْرُ النهوضِ دَمٌ يَسْحُ ، وهامُ
 ومتى أرادَ الشعبُ نَشْرَ بُنوده
 فعلى الجماجمِ تُركِزُ الأعلامُ

* * *

يامعشر الزعماء ا لا تتقنوا
 وَلَى الدَّجَى ، واستيقظ النّوَامُ
 لا تبرقوا ، لا تُرعدوا فسحاً بكم
 — مها تلبّد في الجواء — جهامُ
 رعى الشعوب له مطالبُ جمّةُ
 هيهات يُحرز بعضها الغنّامُ
 فدعوا الزّعامةَ للذي خلقت له
 و كلّوا مريئاً ما يروقُ ، وناموا
 وغداً نوّلي الأمرَ من نجوبه
 درء الخطوبِ ، فتنجلي الآلامُ
 وننال ما نبغيه من حريّة
 حمراء يبنى صرحها الإقدامُ

* * *

هبّطت الى الوادي تجوسُ خلاله
 أنباء عِلجٍ ، كلّهُ آثامُ

لُوتِي يَفْجُ كَأَرْقَمٍ فِي نَابِهِ
حَتْفٌ ، يَرُوعُ الْخَافِقِينَ ، زُؤَامٌ (١)
لَمْ يُلَفِّ غَيْرَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى لَهُ
مَأْوَى يَرُوقُ ، فَجَارَتْ الْأَحْكَامُ
لَهْفِي عَلَى مَرَاكَشٍ وَشُبُولِهَا
لَفَظَتْهُمْ الْقَلَوَاتُ ، وَالْأَجَامُ
دِيسَ الْعَرِينُ ، وَرَبُّهُ إِلْفُ الْكَرَى
فَاسْتَأْسَدَتْ بِرِقَادِهِ الْأَنْعَامُ
وَمَضَى الْبُغَاةُ يُشِيدُونَ كُنَائِسًا
زُجَّتْ بِهَا الْأَطْفَالُ وَالْأَيَّامُ
وَالْبَرَبْرُ ارْتَاعُوا ، وَقَدْ طَاشَتْ بِهِمْ ،
بَعْدَ الرِّزَايَا الْجَمَّةِ ، الْأَحْلَامُ
أَضْحَى نِدَاؤُهُمُ اللَّطِيفَ جَرِيمَةً ،
أَنَاتُهُمْ وَعَوِيلُهُمْ أَجْرَامُ

(١) هو ليوتي حاكم افريقيا الشمالية الافرنسية الظالم الذي تم على يديه الظهير البربري المشنوم القاضي بتنصير البربر .

وَالْعَسْفُ صَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْ جَامِهِ
 حُمَمًا ، لَهَا طَيِّ النَّفُوسِ ضَرَامُ
 وَغَدَوْا تَقَاذُفُهُمْ صَوَالِجُ أُمَّةٍ
 مِنْ طَبْعِهَا التَّنْكِيلُ وَالْإِجْرَامُ
 سَلَبُوهُمْ الدِّينَ الْخَفِيفَ ، فَلَيْتَنِي
 كُنْتُ الْفِدَاءَ ، وَأُطْلِقَ الْإِسْلَامُ
 الْوَيْلُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ يَعْضُهُمُ
 نَابُ الزَّمَانِ ، وَتَشْمَتُ الْأَيَّامُ
 يَمْرُونُ أَثْدَاءَ الْمَهَانَةِ وَالْأَذَى
 حَقَبًا ، وَمَا لِلْبَائِسِينَ فِطَامُ

* * *

دَرَجَتْ بِنَا الْأَعْوَامُ يُخْدُوهَا الْأَسَى
 وَسَلَاوُفَاسُ رَعَتْهَا الْآلَامُ
 وَرَأَتْ رِبَاطُ الْفَتْحِ أَفْطَعَ مَشْهَدٍ
 فِيهِ الْيَقِينُ قَضَى ، وَسَادَ الذَّامُ (١)

(١) الذام : العيب والذم .

سَيْقَ الصِّفَارُ إِلَى الْكِنَائِسِ بَعْدَمَا
 كَانَتْ مَسَاجِدَ تُنْتَحَى ، وَتَرَامُ
 جَعَلُوا الْمَسِيحَ دَرِيَّةً اسْتَعْمَارِهِمْ
 وَسَبِيلُ عَيْسَى النَّاصِرِيِّ سَلَامُ
 شَادُوا مَعَابِدَهُمْ مَعَاوِلَ لِلآذَى
 مَا لِلْمَشِيدِ لِالْأَذَاةِ دَوَامُ
 سَنَقُولُ لِلتَّارِيخِ : سَجِّلْ ، هَذِهِ
 مَدَنِيَّةٌ يُزْهَى بِهَا الْأَرْوَامُ

نابلس : ١٦ أيار ١٩٣٢

اليَقْظَةُ

ياراهباً في ضلوعي ، عافَكَ الأَلمُ
وَبِتَّ كالصُّبحِ ، لا يَأْسُ ، ولا سَقَمُ
جَرَّ عُنْكَ الغَمَّ أَلواناً ، يَضِيقُ بها
صدرُ الأَنامِ ، ويُنْجِشِي حَمَلُها العَلمُ (١)
أَيَّامَ أَوغَلْتُ في بَيداءِ مُجَدِبَةٍ
إِلَّا مِنَ اليَأْسِ أَغْرَاهُ بِي النِّهَمُ
جَوْنَعَانُ آنَسَ بِي وَهْنًا ، فساوَرَنِي
حَتَّى إِذَا طَارَ لُبِّي ، راحَ يَلْتَهِمُ (٢)
أَخافُني الوَهْمُ مِنْ أُنْيَابِ سَطَوَتِهِ
والوَهْمُ يَفْعَلُ ما لا يَفْعَلُ الحِذْمُ (٣)
رَعَرَعَتُهُ ، فَناَمَعَلَ الذَّراعِ ولم
يَجِدْ لَهُ غَيْرَ صَدْرِي ، مِنْهُ يَنْتَقِمُ

(١) العلم : الجبل .

(٢) ساوره : وثب عليه .

(٣) الحِذْم : السيف القاطع

فِيَالِهَ صَمًا أَنْشَأَتْهُ بِيَدِي
وَحِفَّتُهُ ، فَبَغَى فِي حُكْمِهِ الصَّنَمُ
لَوْلَا بَقِيَّةُ إِيْمَانٍ بِهِ اذْرَعَتْ
نَفْسِي ، لَأَوْطَنَ فِي أَرْجَائِهَا الْعَدَمُ

* * *

جَلَا الْأَسَى عَنْ رُبُوعِ النَّفْسِ ، لَا دَرَجَتْ
بِهِ ، مَدَى عُمْرِي ، شَطَرَ الْحِمَى قَدَمُ
وَأَقْبَلَ الْفَجْرُ مَزْهُوًّا بِغُرَّتِهِ
وَفِي حَوَاشِيهِ مِنْ سِرِّ الْحَيَاةِ دَمُ
فَشِمْتُ رَوْضَ الْمَنَى تَهَشَّتْ أَزَاهِرُهُ
وَهَيَّئِمْتُ فِي حَنَايَا دَوْحِهِ النَّسَمُ
وَصَفَّقَ الْجَدُولُ الرُّقْرَاقُ حِينَ رَأَى
جَوَانِحَ الْفَجْرِ بِالْأَشْوَاقِ تَضَطَّرِمُ
وَدَاعَبَ الطَّلُّ وَزْدَ الرُّوْضِ ، فَانْفَرَجَتْ
أَكْكَامُهُ ، وَأَطْلُ الْوَرْدِ يَبْتَسِمُ

وَالْجَلَنَارُ حَتَّى لِلشَّمِّ هَامَتُهُ
 وَضَمَّنِي بِفُرُوعِ كُلُّهُنَّ فَمُ (١)
 فَيْتُ نَشْوَانٍ مِنْ رَاحِ السُّرُورِ ، وَكَمْ
 مِنْ قَبْلُ أَغْرَتُ ، وَمِنْهَا كُنْتُ أَنْهَزِمُ

* * *

كَفَكَنْتُ دَمْعِي ، فَلَنْ تُذَرِيهِ كَارِثُهُ
 مَهْمَا تَدْفُقُ سَيْلُ الْمِحْنَةِ الْعَرِمُ
 مَا فِي مَاقِي لُيُوثِ الْعَرَبِ سَاخِنُهُ
 بَلْ فِي عَزَائِمِهِمْ يَوْمَ الْوَعَى حُمَمُ
 إِذَا تَنَادَوْا إِلَى بَذْلِ وَتَضَحِيَةٍ
 لَبَّوْا خَفَافًا ، وَفِي أَحْدَاقِهِمْ ضَرَمُ
 سُوسٍ ، غَطَارِقَةٌ ، قَدْ زَانَ مَفْرِقَهُمْ
 تَاجُ الزَّمَانِ ، وَفِي عِرْنِينِهِمْ شَمَمُ (٢)

(١) الجَلَنَارُ : زهر الرمان .

(٢) الأَشُوسُ : الجريء على القتال الشديد . الْغَطْرِيفُ : السيد .

خَطِيبُهُمْ مِذْرَهٌ ، إِنْ شَاءَ شَبَّ بِهِمْ
 حَرْبًا تَعَوَّذَ مِنْهَا اللَّيْثُ وَالرَّخْمُ
 أَوْشَاءَ كَانُوا كَأَنْفَاسِ الضُّحَى عَبَقًا
 بِهَا تَهِيمُ الْجِبَالِ الشَّمُ ، وَالْأَنْكَمُ
 تَنْدَى أَكْثُهُمْ بِالْجُودِ مِنْهُمْ رَأً
 وَكُلُّهُمْ حَاتِمِ الطَّائِي ، كُلُّهُمْ
 وَجَارُهُمْ فِي حِمَى مِنْ كُلِّ عَادِيَةٍ
 حَتَّى يَكَادَ مِنَ الْأَقْدَارِ يَعْتَصِمُ
 لَا يَرْهَبُونَ الرَّدَى الْفَتَاكَ مُرْهَفَةً
 أَنْيَابُهُ ، وَالْأَذَى يَجْدُوهُ وَالنِّقْمُ
 وَيُقْدِمُونَ ، وَفِي الْأَخْنَاءِ أَفِئْدَةٌ
 مِنَ الصَّفَا ، بِشُؤَاظِ الْبَاسِ تَضْطَرِمُ (١)
 فَيَتْرُكُ الْمَوْتَ يَوْمَ الرُّوعِ سَاحَتَهُمْ
 وَمَنْ إِذَا انْقَضَى قَوْمِي لَيْسَ يَنْهَزُمُ؟

(١) الصفا : مفردها صفاة ، وهي الجبر الصلد .

إِنَّ الْمَنِيَّةَ إِنْ رَاوَدَتْهَا اِمْتَنَعَتْ
وَإِنْ تَجَبَّنَهَا ، جَاءَتْكَ تَحْتَرِمُ

* * *

يَا رَبِّ ! شَرَفْتَنَا لَمَّا نَظَّمْتَ لَنَا
قَصِيدَةً فَدَّةً أَبْيَاتُهَا الْأُمَمُ

وَالْعُرْبُ فِيهَا هُمْ بَيْتُ الْقَصِيدِ ، وَمَنْ
كَالْعُرْبِ بِالنُّبْلِ ، وَالْإِقْدَامِ يَتَّسِمُ

حُمْرٌ قَنَابِلُهُمْ ، سُودٌ مَعَارِكُهُمْ
بَيْضٌ صَوَارِئُهُمْ ، خَضَرٌ أَكْفُهُمْ

أُمَّ الْيَهُودُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَاقِبَهُمْ
فَبَدَدَ الشَّمْلُ ، أَنَّى بَعْدُ يَنْتَظِمُ ؟

حُثَالَةُ الْخَلْقِ هُمْ ، لَادَرَّ دَرَّهُمْ
وَلَا أَنَاخَ بَارِضِ الْعُرْبِ مَكْرُهُمْ

نَحْسٌ كَوَاكِبُهُمْ ، شَرُّ طَبَائِعُهُمْ
إِفْكٌ مَزَايِعُهُمْ ، عَارٌ جَوَارُهُمْ

* * *

مَعَاشِرَ الْعَرَبِ الْأَجَادِ لَا تَهْنُوا
عَادَ الشَّبَابُ ، وَوَلَّى الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ
لَمْ يَبْقَ لِلْيَاسِ قُوَّةٌ فِي عِزَائِمِنَا
لِلْيَاسِ فِيهَا نَقِيعُ السَّمِّ ، لَا الدَّسَمُ
وَنَحْنُ فِي الدَّاسِ أَجَادٌ مُوَثَّلَةٌ
وَسَادَةُ الدَّهْرِ فِي التَّارِيخِ نَحْتَكِمُ (١)
نُمَلِّي فِي كُتُبُ ، وَالْأَجْيَالُ تَقْرَأُنَا
مَفَاخِرًا ، لَمْ يُسَاطِرْ مِثْلَهَا قَلَمُ
سَيَعْلَمُ الْغَرْبُ ، وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ ،
بَأَنَّ خَيْرُ مَنْ يَهْفُو لَهُ عِلْمُ
شَعْبُ أَرْوَمَتُهُ عِدْنَانُ ، مَا حَظِيَّتْ
بِمِثْلِ عِدْنَانٍ فِي أَجْدَادِهَا الْأُمَمُ

القدس : ١٩٣٤

(١) احتكم في الشيء : تصرف فيه وفق مشيئته .

تصويبات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ابداً	ورثا	١١	١٥
عزيماً	عزيمة	٢٠	١٠
كبدا	لبدا	٢٢	٨
يفتو	ويفتو	٤٠	١٣
***	توضع بعد (شيب بالالم)	٥٤	٩
راقوا	أراقوا	٦١	١٣
يمق	لم يُبق	٧٢	١
وينتخب	ينتقب	٧٩	٤
أخفى	أخفى	٨٤	١٥
فعوا	فعبوا	٨٦	٩
الاجحاد	الأجحار	٩٥	٨
(١) تدرؤ في السطر الثاني توضع في تدرؤ نهاية السطر السادس ١٤٤ ٢			

دليل الكتاب

الصفحة	عنوان القصيدة
٣	الاهداء
٤	لميث القناة
٧	طبل الغرب
٩	الجمهورية العربية المتحدة
١٩	مرحباً يا جمال
٢٩	كفنوا اليأس
٣٢	نشيد الثأر
٣٤	جزائر الجزائر
٣٧	وعد بلفور
٣٨	خليل السكاكيني
٥٢	ذكرى فلسطين
٥٩	جميلة بو حيرد
٦٦	يارب
٦٩	نحن والجزائر
٧٨	ثورة العراق
٨٠	الجمهورية العراقية
٨٨	الذكرى العاشرة

عنوان القصيدة

الصفحة

وحي العيد

٩٩

وحي المولد

١٠٥

عصبة الحق

١١٤

بعد الاربعين

١١٩

نشيد الذكري

١٢٣

لولاك

١٢٥

فجر العروبة

١٣٥

الظهير البوري

١٥٠

اليقظة

١٥٦

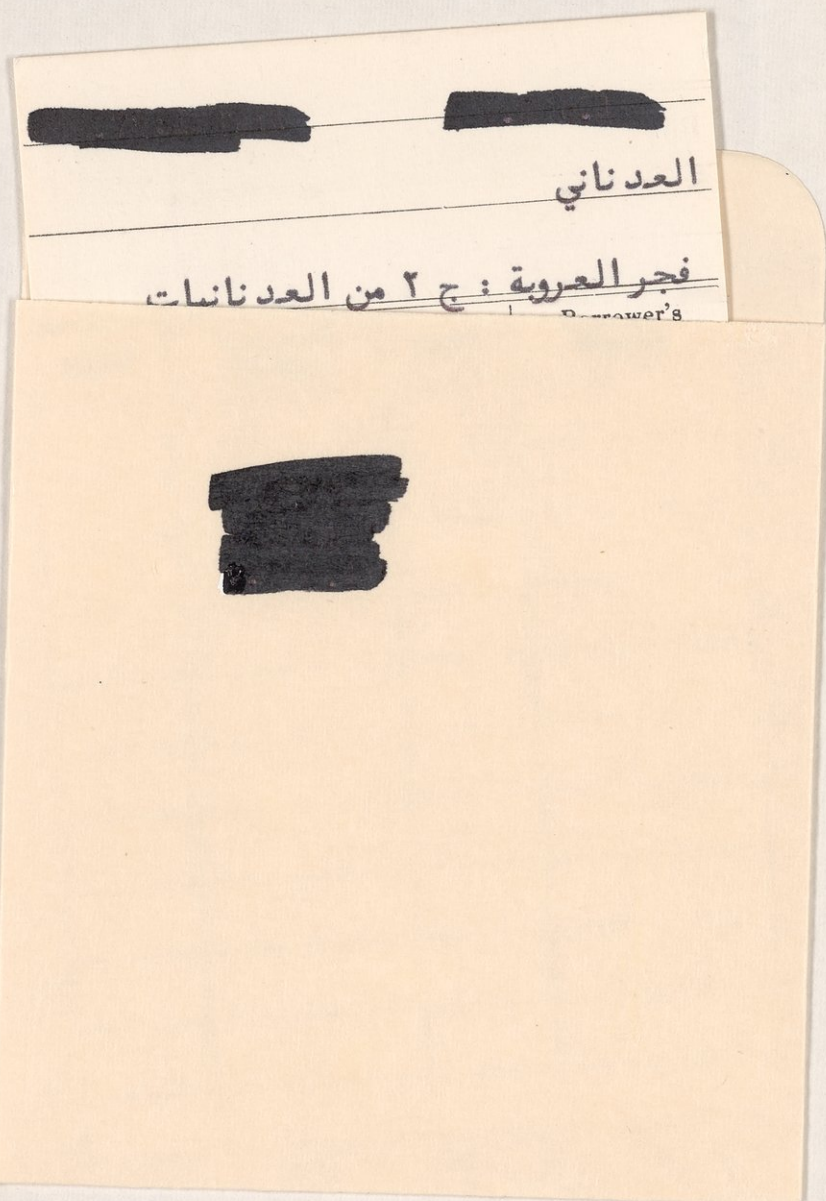
تصويبات

١٦٢

دليل الكتاب

١٦٣

[illegible]



892.71
A237aA
v.2